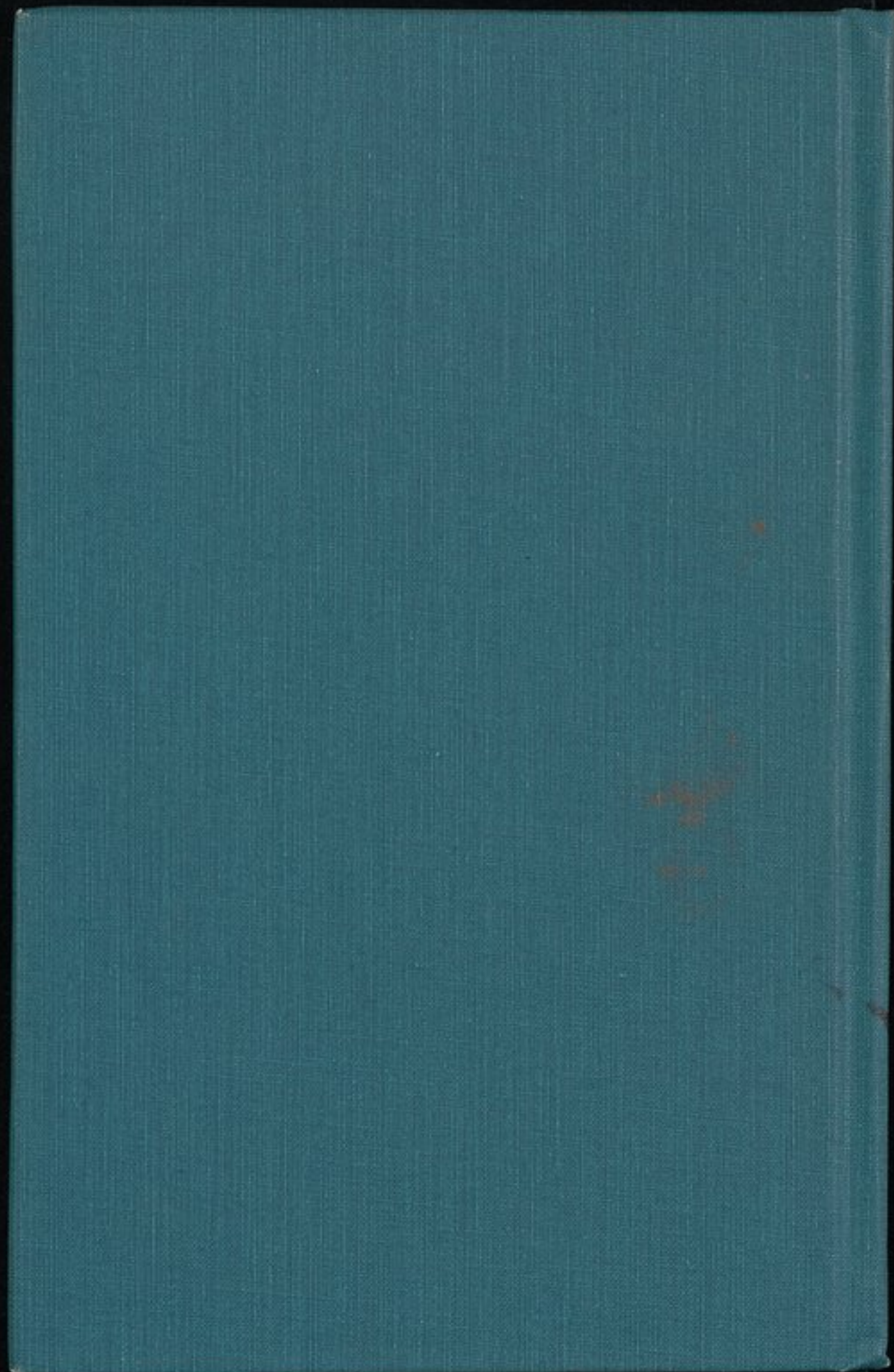
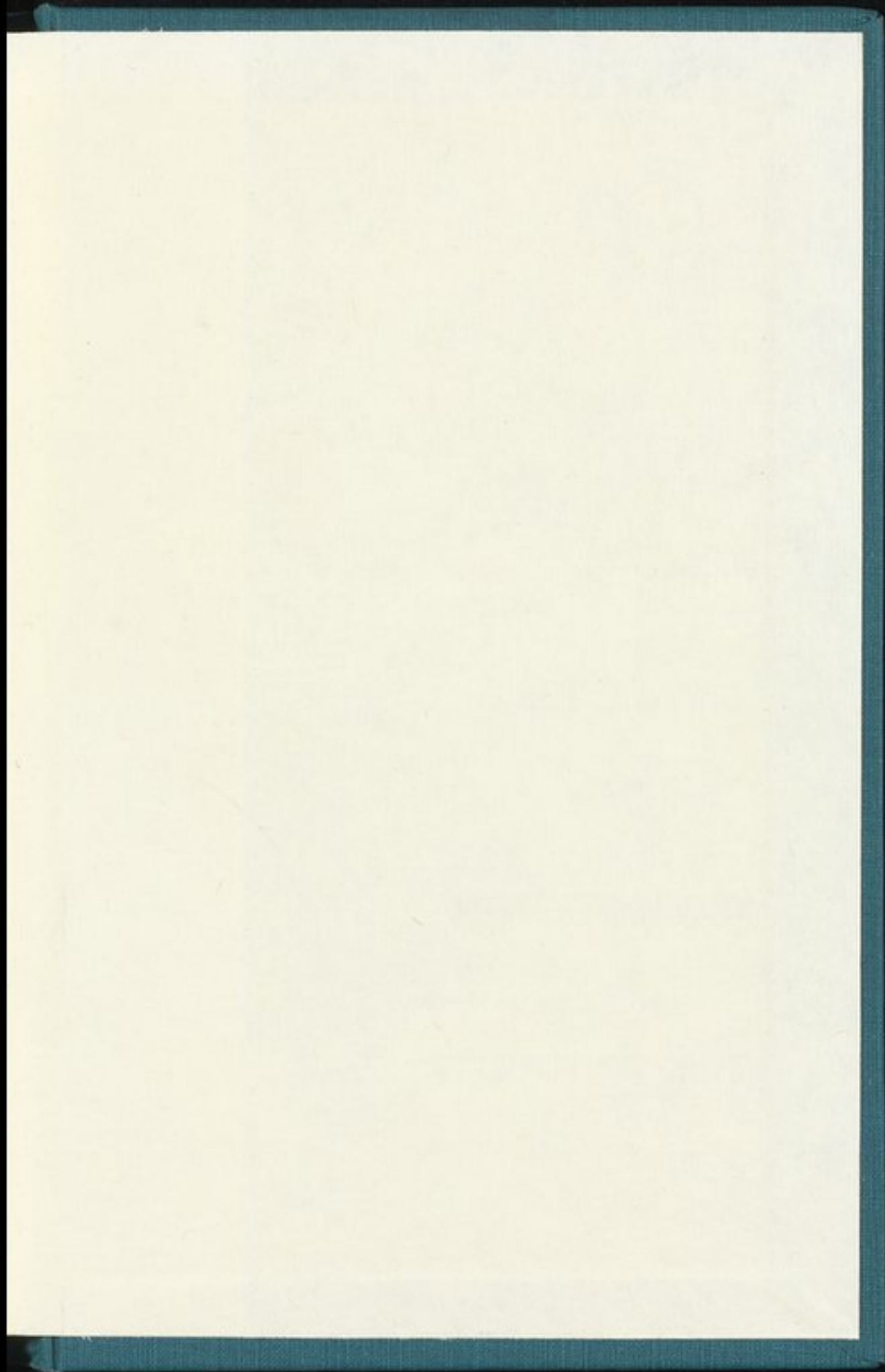






PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY



32101 027321916

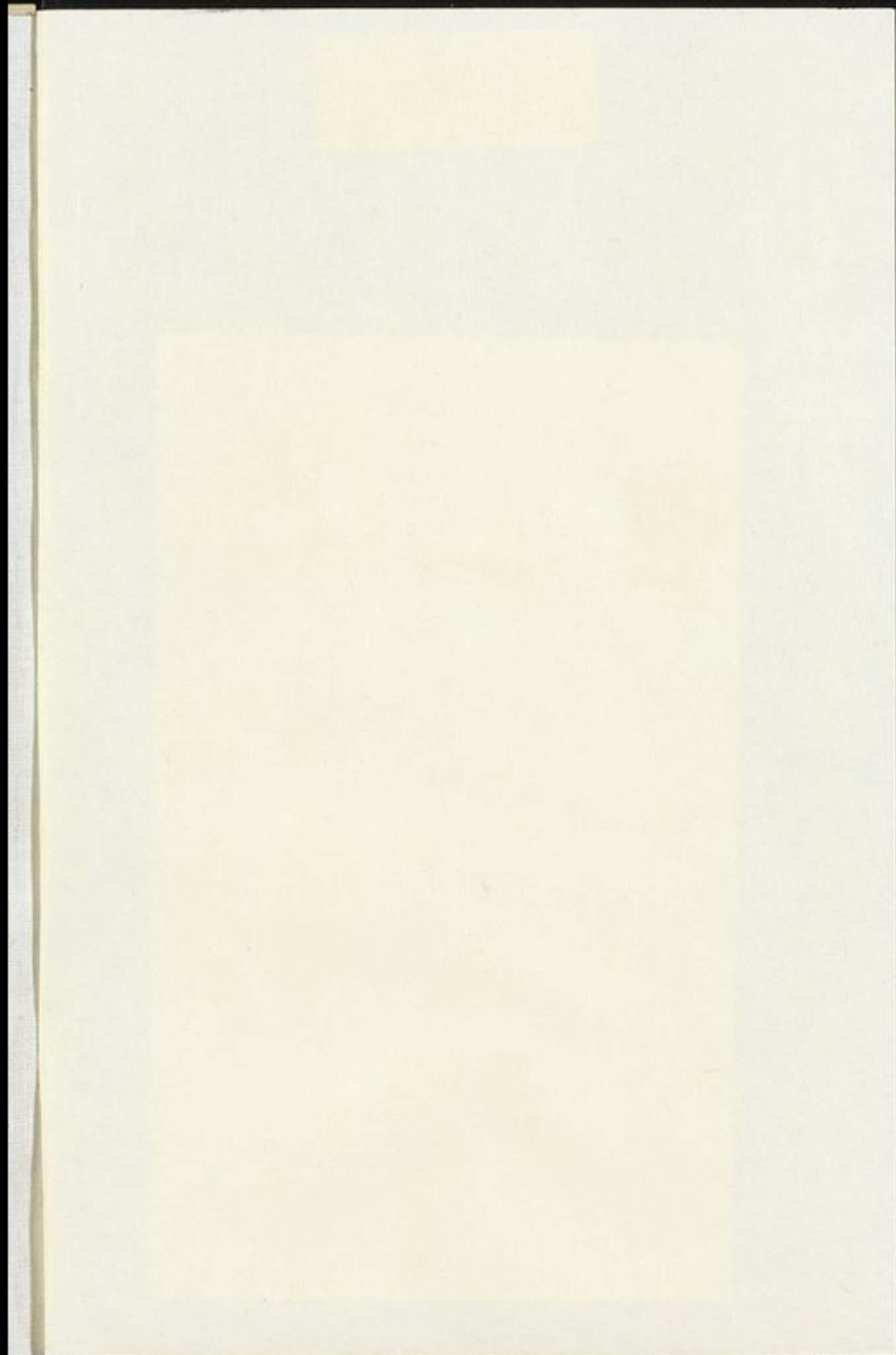
Princeton University Library

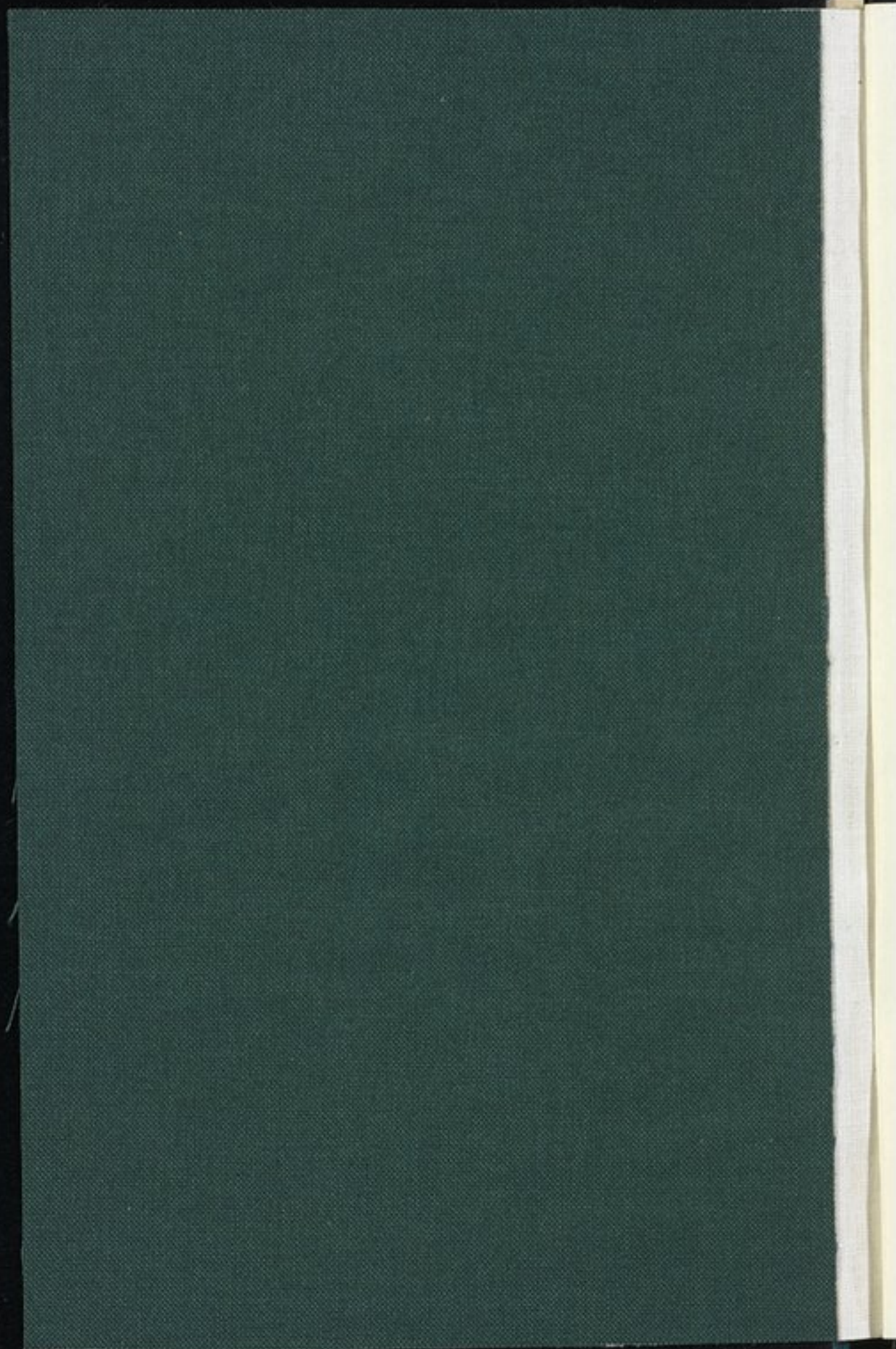
This book is due on the latest date
stamped below. Please return or re-
new by this date.

JUN 15 2010

JUN 15 2010

DUE JUN 15 2010





PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

PAIR>



32101 027321916

١ Afghānī

الترغى على الدهر ببيت

للمصلح الكبير السيد جمال الدين الافغانى



نقلها من اللغة الفارسية الى اللغة العربية

الأستاذ الامام

الشيخ محمد عبد الله

محمود محمد
سنة ١٣٤٤ هـ
الموافق ٨ - ١ - ١٩٢٥ م

على نفقة

سيد موسى شريف

الكتبي بخان الخليلي - بمصر

١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م

المطبعة الرحمانية بمصر
لصاحبها عبد الحميد موسى شريف

2271

.50535

.3745

1925

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

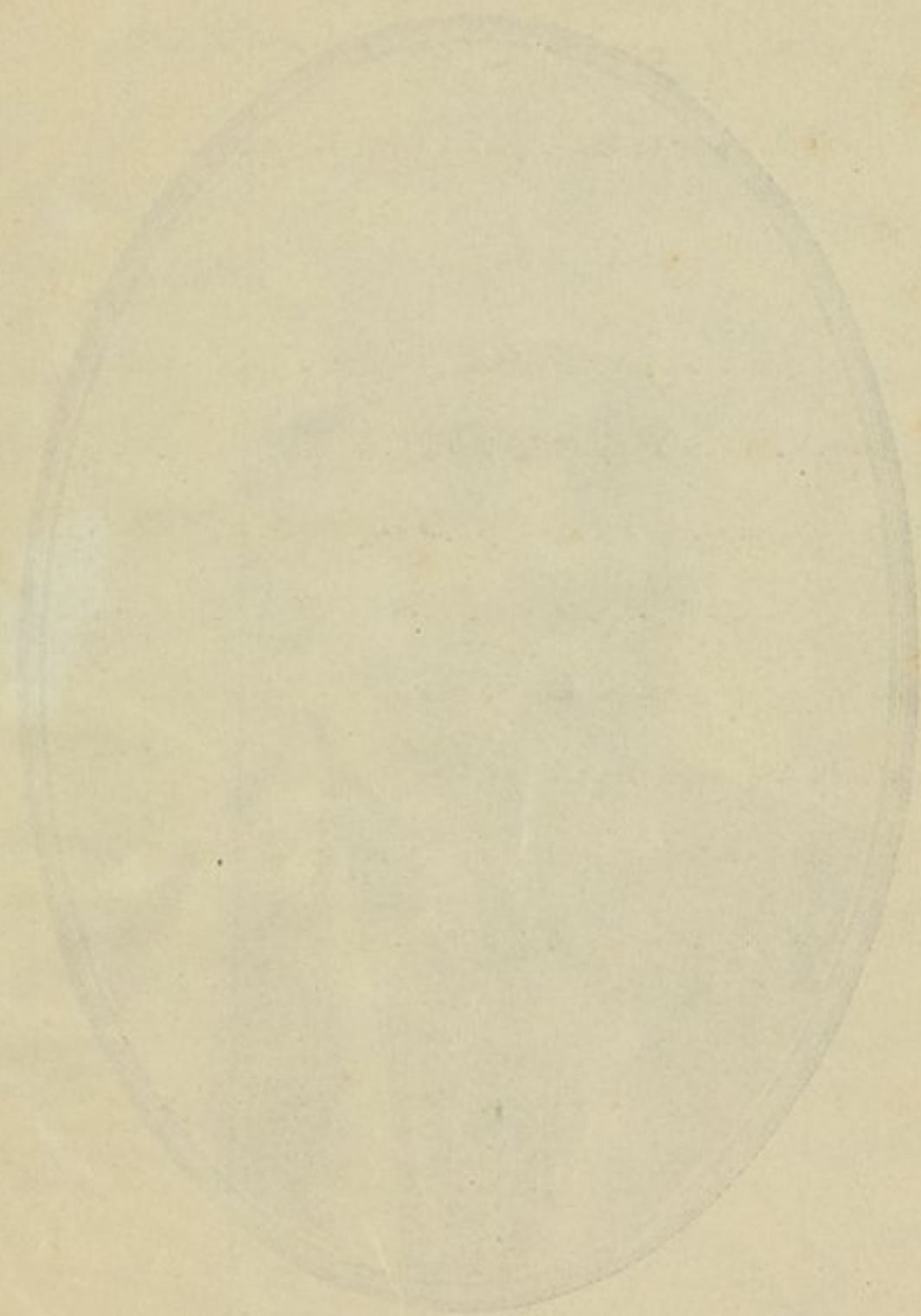
PAIR



32101 027321916



السيد جمال الدين الأفغاني



السيد جمال الدين الحسيني الافغانى

ولد سنة ١٢٥٤ هـ (١٨٣٩ م) وتوفى سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٧ م)

نمبر

قد تمر القرون وتتوالى الأجيال والناس على ما ساقهم اليه الحاجة من شؤون معاشهم لا يفقهون غتها من سمينها ولا يدركون مبدأها ولا مصيرها حتى تتمخض الطبيعة فتلد من أبنائها أفراداً يميطنون عن أسرارها اللثام فيرى الناس من ورائه شرائع ونواميس كانوا عنها غافلين أولئك هم أقطاب العلم وأنوار العالم ومنهم الفلاسفة الطبيعيون الذين مزقوا أستار الجهل وكشفوا غوامض الطبيعة فهدوا سبل الاختراع والاكتشاف ، ومنهم الفلاسفة العقليون الذين استطلعوا أسرار الحكمة المستترة وراء تلك النواميس وينبؤوا ما أودعه الخالق في خليقته من القواعد العقلية والروابط الأدبية .

ولكن الطبيعة لا تجود بواحد من أولئك الأفراد الا كل بضعة قرون فيسير الناس على خطواته أجيالا حتى اذا كادوا يرجعون الى غيهم جادت عليهم بآخر ينفض فيهم روحاً حية فيهبون من رقادهم ويعودون الى رشدهم ريثما يأتهم ثالث

هكذا كان شأن العالم من بدء عمرانه ومن أولئك الفلاسفة سقراط وأفلاطون ومن تقدمهم وجاء بعدهم من فلاسفة اليونان والرومان

والفرس والعرب وغيرهم من علماء العقول والمنقول ممن لا تزال نستضيء
بنبراسهم

ولكن الله في خلقه حكمة لا تدركها العقول فقد ينبغ في بعض
الأجيال أفراد توفرت فيهم قوى الفلاسفة ومواهب رجال الأعمال فتحيط
بهم بيئات لا تصلح لنماء ما يغرسون فيذهب سعيهم هباء منثوراً

ولما كان الانسان لا يقدر العمل الا بنسبة ما يترتب عليه من
الفائدة كان نصيب كثيرين من عظماء الأرض جهل الناس حق قدرهم
واغفال التاريخ ذكرهم كما هو شأننا بفقيد الشرق الفيلسوف الخطيب
السيد جمال الدين الأفغانى رحمه الله فقد نشأ قطباً من أقطاب الفلسفة
وعاش ركناً من أركان السياسة ولكنه مات ولم يتم عملاً ولا ألف كتاباً
على أن ذاك لا يحط من مقامه وقد رأينا أعظم فلاسفة اليونان (سقراط)
مات ولم يدون شيئاً من كلامه ولكن تلامذته حفظوا فلسفته ودونوها
فتوارثها الأجيال خلفاً عن ساف ، فعسى أن لا نحرم من مریدی الاستاذ
وتلامذته من يفعل مثل ذلك

ترجمته

هو السيد محمد جمال الدين بن السيد صفتر ولد في بيت شرف وعلم بقرية أسعد آباد من قرى كنر من أعمال كابل ببلاد الافغان سنة ١٢٥٤ هـ (١٨٣٩ م) ويتصل نسبه الى السيد علي الترمذى المحدث المشهور ويرتقى الى الامام الحسين بن علي بن أبي طالب ، وآل هذا البيت عشيرة كبيرة تقيم في خطة كنر ولها منزلة عليا في قلوب الافغانيين حرمة نسبها وكانت تملك جزءاً من أرض الأفغان حتى سلب الملك منها دبوست محمد خان جد الأمير الحالي وأمر بنقل والد السيد جمال الدين وبعض أعمامه الى مدينة كابل وجمال الدين لا يزال في الثامنة من عمره فعنى والده في تربيته وتثقيفه فتلقى مبادئ العلوم العربية والتاريخ ، وعلوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه وأصول وكلام وتصوف ، والعلوم العقلية من منطق وحكمة عملية سياسية ومنزلية وتهذيبية وحكمة نظرية طبيعية والهيبة ، والعلوم الرياضية من حساب وهندسة وجبر وهيئة أفلاك ونظريات الطب والتشريح ، وكانت ملامح النجابة والذكاء ظاهرة فيه منذ نعومة أظفاره فأتم هذا كله وهو في الثامنة عشرة من عمره

ثم عرض له سفر الى بلاد الهند فأقام بها سنة وبضعة أشهر ينظر في بعض العلوم الرياضية على الطريقة الافرنجية الحديثة وقدم بعد ذلك الى الأقطار الحجازية لأداء فريضة الحج ف قضى سنة ينتقل من بلد الى آخر حتى وافى مكة المكرمة في سنة ١٢٧٣ هـ (١٨٥٧ م) فوقف على

كثير من عادات الأمم التي مر بها في سياحته ثم رجع الى بلاده وانتظم
 في سلك رجال الحكومة على عهد الأمير دوست محمد خان المتقدم ذكره
 ولما زحف هذا الأمير الى هراة ليفتحها ويملكها على سلطان احمد شاه
 صهره وابن عمه سار السيد جمال الدين معه في جيشه ولازمه مدة الحصار
 الى أن توفي الأمير وفتحت المدينة بعد معاناة الحصر زمناً طويلاً ، وتقلد
 الامارة ولى عهدها شير على خان سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦٤ م) وأشار عليه
 وزيره محمد رفيق خان أن يقبض على اخوته ويعتقلهم فان لم يفعل سعوا
 بالناس الى الفتنة والبوهم للفساد طلباً للاستبداد بالامارة ، وكان في جيش
 هراة من اخوة الأمير ثلاثة محمد أعظم ومحمد أسلم ومحمد أمين فانتصر
 السيد جمال الدين لمحمد أعظم فلما أحسوا بتدبير الأمير ومشورة الوزير
 أسرعوا الى الفرار وتفرقوا في الولايات فذهب كل منهم الى ولايته التي
 كان يليها من قبل أيّامه وطاشت بهم الفتن واشتعلت نيران الحروب
 الداخلية ، وبعد مجادلات عنيفة عظم أمر محمد أعظم وابن أخيه عبد الرحمن
 وتغلبا على عاصمة المملكة وأنقذا محمد أفضل والد عبد الرحمن من سجن
 قزنة وسمياه أميراً على افغانستان ثم أدركه الموت بعد سنة وقام على الامارة
 بعده شقيقه محمد أعظم خان فارتفعت منزلة جمال الدين عنده فأحله محل
 الوزير الأول وعظمت ثقته به فكان يلجأ لرأيه في العظام وما دونها ،
 وكادت تخلص حكومة الافغان لمحمد أعظم بتدبير السيد جمال الدين لولا
 سوء ظن الأمير بالأغاب من ذوي قرابته حملة على تفويض مهمات من
 الأعمال الى أبنائه الأحداث وهم خلوا من التجربة عراة من الحنكة فساق

الطيش أحدهم وكان حاكماً في قندهار على منازلة عمه شیر علی في هرات ولم يكن له من الملك سواها وظن الفتى أنه يظفر فينال عند أبيه حظوة فيرفعه على سائر أخوته فلما تلاقى مع جيش عمه دفعته الجراة على الانفراد عن جيشه في مائتي جندي اخترق بها صفوف أعدائه فأوقع الرعب في قلوبهم وكادوا ينهزمون لولا ما التفت يعقوب خان قائد شیر علی فوجد ذاك الغر المتهور منقطعاً عن جيشه فكر عليه وأخذه أسيراً فتشتت جند قندهار وقوى الأمل عند شیر علی فحمل على قندهار واستولى عليها وعادت الحرب إلى شبابها وعضد الانكليز شیر علی وبذلوا له قناطير من الذهب ففرقها في الرؤساء والعاملين لمحمد أعظم فبيعت أمانات ونقضت عهود وجددت خيانات وبعد حروب هائلة تغلب شیر علی وانهزم محمد أعظم وابن أخيه عبد الرحمن فذهب عبد الرحمن إلى بخارى وذهب محمد أعظم إلى بلاد إيران ومات بعد أشهر في مدينة نيسابور

أما السيد جمال الدين فبقى في كابل لم يمسه الأمير بسوء احتراماً لعشيرته وخوف انتقاد العامة عليه حمية لآل البيت النبوي إلا أنه لم ينصرف عن الاحتيال للغدر به والانتقام منه بوجه يلتبس على الناس حقه بباطله ولهذا رأى السيد جمال الدين خيراً له أن يفارق بلاد الأفغان فاستأذن للحج فأذن له على شرط أن لا يمر ببلاد إيران كيلا يلتقي فيها بمحمد أعظم وكان لم يمّت بعد فارتحل على طريق الهند سنة ١٢٨٥ هـ (١٨٦٩ م) بعد هزيمة محمد أعظم بثلاثة أشهر فلما وصل إلى التخوم الهندية تلقته حكومة الهند بحفاوة واجلال إلا أنها لم تسمح له بطول الإقامة

في بلادها ولا أذنت للعلماء في الاجتماع عليه الا تحت مراقبة رجالها فلم
يقم هناك الا شهراً ثم سيرته من سواحل الهند في أحد مراكبها الى
السويس فجاء مصر وأقام بها نحو أربعين يوماً تردد فيها على الجامع الأزهر
وخالطه كثير من طلبة العلم السوريين ومالوا اليه كل الميل وسألوه أن يقرأ
لهم شرح الاظهار فقرأ لهم بعضاً منه في بيته ثم تحول عن الحجاز عزمه
وتعجل بالسفر الى الاستانة

وبعد أيام من وصوله الاستانة قابل الصدر الأعظم عالي باشا فنزل
منه منزلة الكرامة وعرف له الصدر فضله وأقبل عليه بما لم يسبق لمثله
وهو مع ذلك بزيه الأفغانى من القباء والكساء والعمامة العجرا وحومت
عليه لفضله قلوب الأمراء والوزراء وعلا ذكره بينهم وتناقلوا الثناء على
علمه وأدبه وهو غريب عن أزيائهم ولغتهم وعاداتهم ولم تمض ستة أشهر
حتى سمي عضواً في مجلس المعارف فأدى حق الاستقامة في آرائه وملكته
أشار الى طرق لتعميم المعارف لم يوافق عليها رفقاؤه وبينها ماساء شيخ
الاسلام اذ ذاك لأنها كانت تمس شيئاً من رزقه فأرصد له العنت حتى
كان رمضان سنة ١٢٨٧ هـ (١٨٧١ م) فرغب اليه مدير دار الفنون أن
يلقى فيها خطاباً للحث على الصناعات فاعتذر اليه بضعفه في اللغة التركية ،
فألح عليه فأنشأ خطاباً طويلاً كتبه قبل القائه وعرضه على نخبة من
أصحاب المناصب العالية فاستحسنوه

فاما كان اليوم المعين لاستماع الخطاب تسارع الناس الى دار الفنون
واحتفل له جم غفير من رجال الحكومة وأعيان أهل العلم وأرباب

الجرائد وحضر في الجمع معظم الوزراء فصعد السيد جمال الدين على منبر الخطابة وألقى ما كان أعده ببلاغة سحرت عقول السامعين ، فأذكر مشائخ العلم شيئاً من آرائه واتصل الأمر بشيخ الاسلام وكان متغيراً عليه كما عامت فالتمس من الدولة ابعاده عن الاستانة فصدر له الأمر بالجلء عنها بضعة أشهر حتى تسكن الخواطر ويهدأ الاضطراب ثم يعود ان شاء الله ففارقها وحمله بعض من كان معه على التحول الى مصر فجاء اليها في أول المحرم سنة ١٢٨٨ هـ (٢٢ مارس ١٨٧١ م)

قدم السيد جمال الدين الى مصر على قصد التفرج بما يراه من مناظرها ومظاهرها

ولم تكن له عزيمة على الإقامة بها حتى لاقى صاحب الدولة رياض باشا فاستمالته مساعيه الى المقام وأجرت عليه الحكومة راتباً مقداره ألف غرش مصري كل شهر نزلاً أكرمه به لافى مقابلة عمل ، واهتدى اليه بعد الإقامة كثير من طلبة العلم واستوروا زنده فأورى واستفاضوا بحره ففاض دراً وحملوه على التدريس فقرأ من الكتب العامية في فنون الكلام الأعلى والحكمة النظرية من طبيعية وعقلية وفي علم الهيئة الفلكية وعلم التصوف وعلم أصول الفقه الاسلامي وكانت مدرسته بيته فعظم أمره في نفوس طلاب العلوم واستجزلوا فوائده الأخذ عنه وأعجبوا بعلمه وأدبه وانطلقت الالسن بالثناء عليه وانتشر صيته في الديار المصرية ، ثم وجه عنايته لتمزيق حجب الاوهام عن أنوار العقول فنشطت لذلك الباب واستضاءت بصائر وحمل تلامذته على العمل في الكتابة وانشاء الفصول

الادبية والحكمية والدينية فاشتغلوا على نظره وبرعوا وتقدم فن الكتابة في مصر بسعيه وكان القادرون على الاجادة في المواضيع المختلفة قليلين فنبغ من تلامذته في القطر المصري كتبة لا يشق غبارهم ولا يوطأ مضمارهم وأغلبهم أحداث في السن شيوخ في الصناعة ومامنهم الا من أخذ عنه أو عن أحد تلامذته أو قلد المتصلين به ، هذا ما حسده عليه أقوام واتخذوا سبيلا للطعن عليه من قراءته بعض الكتب الفلسفية أخذاً بقول جماعة من المتأخرين في تحريم النظر فيها فتمكنوا من نسبة ما أودعته كتب الفلاسفة الى رأى هذا الرجل وأذاعوا ذلك بين العامة ثم أيدهم أخلاط من الناس من مذاهب مختلفة غير أن هذا كله لم يؤثر في مقامه من نفوس العارفين بحاله

وكان رحمه الله على علمه وفضله ميالاً الى السياسة فنظر في حال مصر وما آلت اليه من التداخل الاجنبى فعلم أن لابد من تغير أحوالها وكان قد انتظم في سلك الجمعية الماسونية وتقدم فيها حتى صار من الرؤساء فأنشأ محفلاً وطنياً تابعاً للشرق الفرنساوى دعا اليه مريديه من العلماء والوجهاء فصار أعضاؤه نحواً من ثلاثمائة عدداً ، فلما عظم أمر محفله دخل الخوف فنصل انكلترا فوشى به الى الحكومة وبث الرقباء في المحفل فسعوا فيه فساداً ، وفي خلال ذلك بلغت أحوال مصر نهاية الارتباك فصرح بأمور قوت حجة الساعين وكان قد تولى مصر المرحوم الخديوى السابق توفيق باشا فأصدر أمره باخراجه من القطر المصرى هو وتابعه أبو تراب ففارق مصر الى البلاد الهندية سنة ١٢٩٦ هـ (١٨٧٩ م) وأقام بمحيدرآباد الدكن

وفيهما كتب رسالته في « نفي مذهب الدهريين » ولما كانت الحوادث
العرايية بمصر دعى من حيدر آباد الى كليكتة وألزمته حكومة الهند
بالاقامة فيها حتى انقضى أمر مصروفات الحرب الانكليزية ثم أبيع له
الذهاب الى أى بلد فاختار الشخوص الى أوروبا وأول مدينة نزها مدينة
لوندرا أقام بها أياما قلائل ثم انتقل الى باريس فوافاه اليها صديقه الشيخ
محمد عبده المصرى وكانت فى مصر جمعية وطنية اسمها جمعية العروة الوثقى
فكلفته على بعد الدار أن ينشئ جريدة تدعو المسلمين الى الوحدة
الاسلامية فأنشأ « العروة الوثقى » وكلف صديقه المشار اليه بتحريرها
وكان لها وقع حسن فى العالم الاسلامى فنشر منها ١٨ عدداً ثم قامت
الموانع دون استمرارها حيث أقفلت أبواب الهند عنها وشددت الحكومة
الانكليزية فى اساءة من يقرأها

وقضى جمال الدين فى باريس ثلاث سنوات نشر فى أثناءها مقالات
فى جرائدها تبحث فى سياسة روسيا وانكلترا والدولة العلية ومصر ترجمت
جرائد انكلترا كثيراً منها ، وجرت له أبحاث فلسفية مع الفيلسوف
الفرنساوى رينان فى « العلم والاسلام » فشهد له هذا بسعة العلم وقوة
الحجة ثم شخص الى لندرا بايعاز اللورد شرشل واللورد سالسبرى ليسألاه
عن رأيه فى المهدي وظهوره اذ ذاك ثم عاد الى فرنسا وتعرف بكثيرين
من علمائها وفلاسفتها فأحلوه مكاناً علياً

ثم عزم على نجد فاستقدمه شاه الفرس اذ ذاك المرحوم ناصر الدين
شاه على لسان ليراه فسار قاصداً طهران فالتقى فى اصفهان بالامير ظل

السلطان فلاقي منه اكراما حتى اذا وصل طهران استقبله الشاه أحسن استقبال وأكثر من الثناء عليه حيثما ذكره حتى في بلاطه وبين أهله وأولاده وولاده نظارة الحربية على أن يرقيه بعد قليل الى منصب الصدارة وكان جمال الدين قد درس أخلاق الامم وعرف تواريخ الدول وتدبر أحوال البرق السياسية على اختلاف الامكنة والازمنة مع بلاغته وقوة برهانه فنال لدى أمراء الفرس وعلمائها منزلة قل أن ينالها غيره في مثل حاله فأصبح منزله حلقة علم يأمها سراة البلاد ووجهائها يتسابقون الى سماع حديثه نخامر الشاه ريب من أمره مخافة أن يكون وراء ذلك ما يخشى منه على سلطانه فأبدى تغيره عليه فأدرك جمال الدين ما في نفسه فاستأذنه في السفر لتبديل الهواء فأذن له فصار الى موسكو بروسيا فلاقاه أهله بالتجلة والاكرام لما سبق الى مسامعهم من شهرته ثم شخص الى بطرسبورج وتعرف بأعظم رجالها من العلماء والسياسيين ونشر في جرائدها مقالات ضافية في سياسة الافغان والفرس والدولة العلية والروسية والانكليزية كان لها دوى شديد في جو السياسة

واتفق اذ ذاك فتح معرض باريس لسنة ١٨٨٩ فشخص جمال الدين اليها فالتقى بالشاه في مونيخ عاصمة بافاريا عائداً من باريس فدعاه الشاه الى مرافقته فأجاب الدعوة وسار في معيته الى فارس فلم يكد يصل طهران حتى عاد الناس الى الاجتماع به والانتفاع بعلمه والشاه لا يرتاب من أمره كأن سياحته في أوروبا محت كثيراً من شكوكه فكان يقربه منه ويوسطه في قضاء كثير من مهام حكومته ويستشيريه في سن القوانين ونحوها

فشق ذلك على أصحاب النفوذ وخصوصاً الصدر الأعظم فأُسر الى الشاه
أن هذه القوانين وان تكن لا تخلو من النفع فهي لا توافق حال البلاد
فضلاً عما ستؤول اليه من تحويل نفوذ الشاه الى سواه فأثر ذلك في الشاه
حتى ظهر على وجهه فأحس جمال الدين بالامر فاستأذنه في المسير الى بلدة
شاه عبد العظيم على بعد ٢٠ كيلومتراً من طهران فأذن له فتبعه جم غفير
من العلماء والوجهاء وكان يخطب فهم ويستجشهم على اصلاح حكومتهم
فلم تمض ثمانية أشهر حتى ذاعت شهرته في أقاصى بلاد الفرس وشاع عزمه
على اصلاح ايران فخاف ناصر الدين عاقبة ذلك فانفذ الى شاه عبد العظيم
خمسمائة فارس قبضوا على جمال الدين وكان مريضاً فحملوه من فراشه
وساقوه يخفرون خمسون فارساً الى حدود المملكة العثمانية فعظم ذلك على
مريديه في ايران فثاروا حتى خاف الشاه على حياته

أما جمال الدين فركث في البصرة ريثما عادت اليه صحته فشخص
الى لندن وقد عرفه الانكليز من قبل فتلقوه بالاكرام ودعوه الى مجتمعاتهم
السياسية وأنديتهم العلمية ليروه ويسمعوا حديثه وكان أكثر كلامه معهم
في بيان حال الشاه وتصرفه في المملكة وما آلت اليه حالها في عهده مع
حث حكومة الانكليز على السعى في خلعه ، وفيما هو في ذلك ورد عليه
كتاب من المايين الهايوني بواسطة المرحوم رستم باشا سفير الدولة العلمية
في لندن اذ ذاك أن يقدم الى الاستانة فاعتذر بأنه في شغل وقتي لاصلاح
بلادهم فورد عليه كتاب آخر وفيه ثناء وتخييض فأجاب الدعوة تلغرافياً
على أن يتشرف بمقابلة جلالة السلطان ثم يعود ، فقدم الاستانة سنة ١٨٩٢

فطابت له فيها الإقامة لما لاقاه من التفات الحضرة السلطانية واکرام
العلماء ورجال السياسة وما زال فيها معزراً مكرماً وجهياً محترماً حتى دأبهم
السرطان في فكه أواخر العام الماضي وامتد الى عنقه فتوفاه الله في ٩
مارس (١٨٩٧ م) واحتفل بجنازته ودفنه في مدفن « شيخلر مزارلقى »
قرب نشان طاش

صفاته و مناقبه

صفاته الشخصية : كان أسمر اللون بما يشبه أهل الحجاز ربعة ممتلئ
البنية أسود العينين نافذ اللحظ جذاب النظر مع قصر فيه فاذا قرأ أدنى
الكتاب من عينيه ولكنه لم يستخدم النظارات وكان خفيف العارضين
مسترسل الشعر بجملة وسراويلات سوداء تنطبق على الكاحلين وعمامة
صغيرة بيضاء على زى علماء الاستانة

طعامه : كان قائماً قليل الطعام لا يتناول الا مرة في النهار ويعتاض
عما يفوته من ذلك بما يشربه من منقوع الشاي مراراً في اليوم والعفة
في الطعام لازمة لمن يعمل أعمالاً عقلية لان البطنة تذهب الفطنة ، وكان
يدخن نوعاً من السيكار الافرنجى الجيد ، ولشدة ولعه بالتدخين وعنايته
في انتقاء السيكار لم يكن يركن الى أحد من خدمه في ابتياعه فيبتاعه
هو نفسه

مسكنه : كان يقيم في أواخر أيامه بقصر في نشان طاش بالاستانة
أنعم عليه به جلالة مولانا السلطان وفيه الاثاث والرياش وعربة من

الاصطبل العامر يجرها جوادان وأجرى عليه رزقا مقداره خمس وسبعون
ليرة عثمانية في الشهر ، فكان قبل مرضه الاخير يقيم معظم النهار في منزله
فاذا كان الاصيل ركب العربية لترويح النفس في منزله كاغدخانه بضواحي
الاستانة وكان كثير القيام لا ينام الا الغلس الى الضحى

مجلسه وخطابه : كان أديب المجلس كثير الاحتفاء بزائريه على اختلاف
طبقاتهم ينهض لاستقبالهم ويخرج لوداعهم ولا يستنكف من زيارة
أصغرهم على امتناعه من زيارة أكبرهم اذا ظن في زيارته ترفعا ، وكان
ذا عارضة وبلاغة لا يتكلم الا اللغة الفصحى بعبارات واضحة جلية واذا
آنس من سامعه التباسا بسط مراده بعبارة أوضح فاذا كان السامع عاميا
تنازل الى مخاطبته بلغة العامة ، وكان خطيبا مصقعا لم يقم في الشرق أخطب
منه ، وكان قليل المزاح رزينا كتوما قد يخاطب عشرات من الناس
في اليوم ، فيبحث مع كل منهم في موضوع يهمه فاذا خرج جليسه كان
خروجه آخر عهده بذلك الموضوع حتى يعود هو اليه بشأنه

أخلاقه : كان حر الضمير صادق اللهجة عفيف النفس رقيق الجانب
وديعا مع أنفة وعظمة ثابت الجأش قد يساق الى القتل فيسير اليه سير
الشجاع الى الظفر وكان كريم النفس راغبا عن حطام الدنيا لا يذخر مالا
ولا يخاف عوزا ومما رواه الاديب رحمه الله أن جمال الدين لما أبعد من
مصر أنزل في السويس خالي الجيب فأتاه السيد النقادي فنصل ايران
في ذاك الثغر ومعه نقر من تجار العجم قدموا له مقدارا من المال على
سبيل الهدية والقرض الحسن فردده وقال لهم « احفظوا المال فأنتم اليه

أحوج أن الليث لا يعدم فريسة حيثما ذهب » وكان مقداما حاثا على الاقدام فلا يخرج جليسه من بين يديه الا وقد قام في نفسه محرض على العلى منشط على السعى في سبيلها ولكنه كان على فضله لا يخلو من حدة المزاج ولعلها كانت من أكبر الاسباب لما لاقاه من عواقب الوشاية

عفة: كان ذكيا فطنا حاد الذهن سريع الملاحظة يكاد يكشف حجب الضمائر ويهتك أستار السرائر دقيق النظر في المسائل العقلية قوى الحجة ذانفوذ عجيب على جلسائه فلا يباحثه أحد الا شعر بانقياد الى برهانه وربما لا يكون البرهان بحمد ذاته مقنعا ، وكان مع ذلك قوى الذاكرة حتى قيل انه تعلم اللغة الفرنسية أو بعضها وصار يقدر على الترجمة منها ويحفظ من مفرداتها شيئا كثيرا في أقل من ثلاثة أشهر بلا أستاذ الا من علمه حروف هجائها يومين

علومه: كان واسع الاطلاع في العلوم العقلية والنقلية وخصوصا الفلسفة القديمة وفلسفة تاريخ الاسلام والتقدم الاسلامي وسائر أحوال الاسلام ، وكان يعرف اللغات الافغانية والفارسية والعربية والتركية والفرنساوية جيدا مع الملم باللغتين الانكليزية والروسية ، وكان كثير المطالعة لم يفته كتاب كتب في آداب الامم وفلسفة أخلاقهم الا طالعها وأكثر مطالعته في اللغتين العربية والفارسية

آماله وأعماله: يؤخذ من مجمل أحواله أن الغرض الذي كان يصبو نحوه أعماله والمحور الذي كانت تدور عليه آماله توحيد كلمة الاسلام وجمع شتات المسلمين في سائر أقطار العالم في حوزة دولة واحدة اسلامية تحت

ظل الخلافة العظمى وقد بذل في هذا المسمى جهده وانقطع عن العالم من أجله فلم يتخذ زوجة ولا التمس كسباً ولكنه مع ذلك لم يتوقف الى كل ما أراده ففقد ، ولم يدون من بنات أفكاره الا رسالة في نفى مذهب الدهريين ورسائل متفرقة في مواضيع مختلفة قد تقدم ذكرها ولكنه بث في نفوس أصدقائه ومريديه روحاً حية حركت همهم ، وحددت أقدامهم فانتفع الشرق وسوف ينتفع بأعمالهم

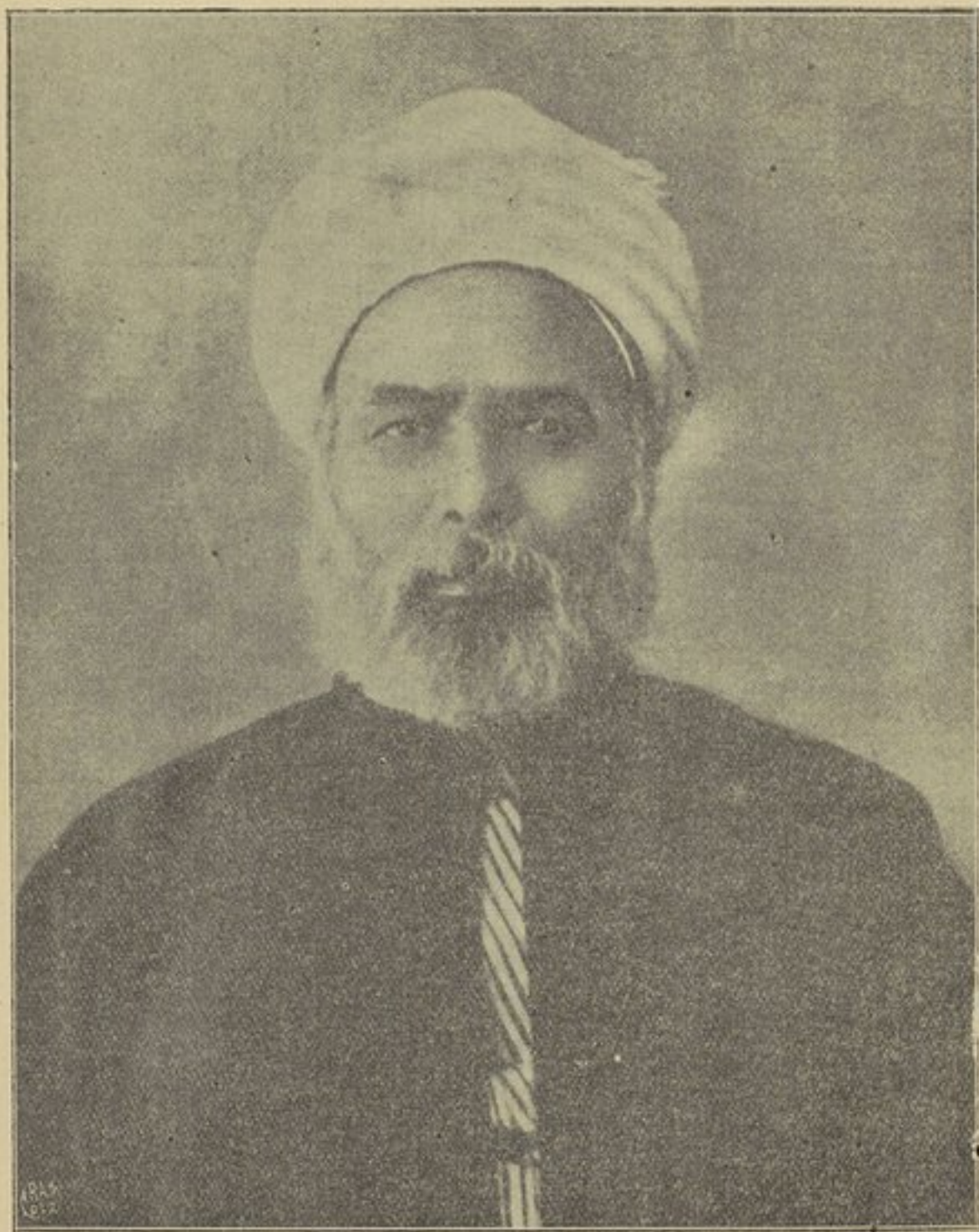
انتهى — نقلاً عن مجلة « الهلال » في ١ ابريل سنة ١٨٩٧

— ٢٩ شوال سنة ١٣١٤

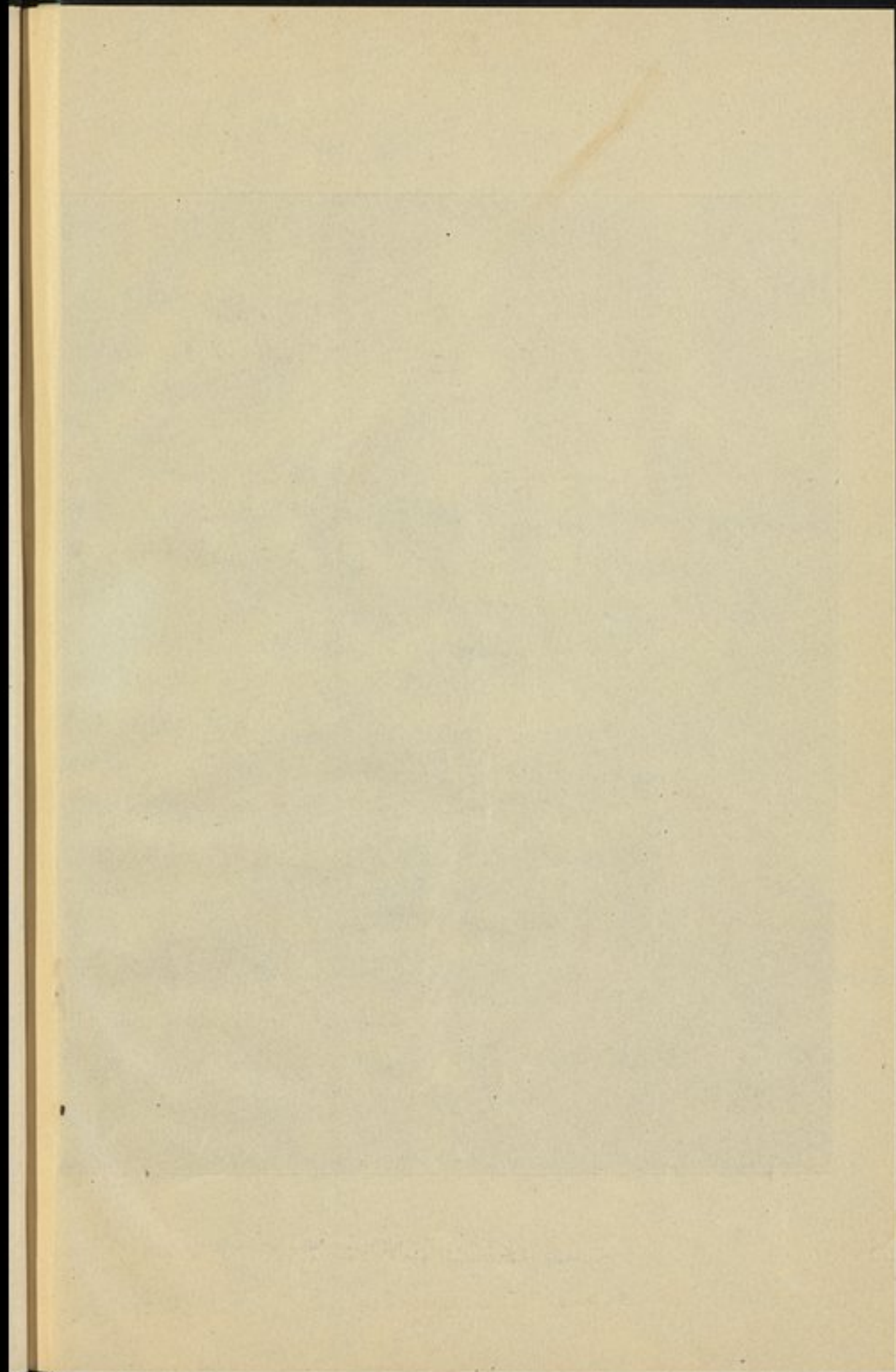
در این کتاب که در این روزگار
 در این روزگار که در این روزگار
 در این روزگار که در این روزگار
 در این روزگار که در این روزگار
 در این روزگار که در این روزگار
 در این روزگار که در این روزگار

۷۶۸۱ - در این روزگار که در این روزگار

۱۱۶۱ - در این روزگار که در این روزگار



الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده



وهذه هي الرسالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين
هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب »

الدين قوام الامم وبه فلاحها ، وفيه سعادتها وعليه مدارها
النشيرية جرثومة الفساد ، وأرومة الأُداد ، وخراب البلاد ، وبها
هلاك العباد

شاع لفظ النشيرية حتى طبق البلاد الهندية في هذه الايام وأصبحت
هذه الكلمة دائرة في المحافل سيارة في المجامع والعامّة والخاصة فيها
مذاهب وهم وطرائق وهم ، فالغالب منهم يخبط على بعد من حقيقتها في غفلة
عن أصل وضعها

لهذا رأيت من الحق أن أشرح مفهومها وأكشف المراد منها
وأرفع الستار عن حال النشيريين من بداية أمرهم وأعرض للناظرين
شيئاً من مفاسدهم وما لحقوا بالنوع الانساني من المضار التي خبت أثرها
وساء ذكرها مستنداً في ذلك على التاريخ الصحيح آخذاً من البرهان العقلي
بدليل يثبت أن هذه الطائفة على اختلاف مظاهرها لم يفش رأيها في أمة

من الامم الا كان سبباً في اضمحلالها وانقراضها
 أثبت ثقة المؤرخين أن حكماء اليونان انقسموا في القرن الرابع
 والثالث قبل المسيح الى فئتين ، ذهب احدهما الى وجود ذات مجردة عن
 المادة والمدة مخالفة للمحسوسات في لوازمها منزهة عن لواحق الجسمانية
 وعوارضها وأثبتت أن سلسلة الموجودات مادية ومجردة تنتهي الى موجود
 مجرد واحد من جميع الوجوه مبرأ الذات عن التأليف والتركيب ومحال
 عند العقل تصور التركيب فيه ، وجوده عين حقيقته وحقيقته عين وجوده
 وهو المصدر الأول والموجد الحقيقي والمبدع لجميع الكائنات مجردة كانت
 أو مادية ، واشتهرت هذه الطائفة بالمتألهين (الخاضعين لله) ومنهم
 فيثاغورث وسقراط وافلاطون وأرسطو ومن أهل مذهبهم كثير ،
 وذهبت أخرى الطائفتين الى نفي كل موجود سوى المادة والماديات
 وأن وصف الوجود مختص بما يدرك بالحواس الخمس لا يتناول شيئاً
 وراءه وعرفت هذه الطائفة بالماديين ، ولما سئلوا عن منشأ الاختلاف
 في صور المواد وخواصها والتنوع الواقع في آثارها نسبته الأقدمون منهم
 الى طبيعتها ، واسم الطبيعة في اللغة الفرنسية (ناتور) وفي الانكليزية
 (نيشر) ولهذا اشتهرت هذه الطائفة عند العرب بالطبيعيين ، وعند
 الفرنسيين باسم (نتور اليسم) أو (ماتير اليسم) الاول من حيث هي
 طبيعية والثاني من حيث هي مادية

ثم اختلف هؤلاء بعد اعتماد أصلهم هذا في تكوين الكواكب
 وتصوير الحيوانات وانشاء النباتات ، فذهب فريق منهم الى أن وجود

الكائنات العلوية والسفلية ونشأة المواليد على ما نرى انما هو من الاتفاق
وأحكام الصدفة وعلى ذلك اتقان بنائها وإحكام نظامها لا منشأ له الا
الصدفة ، كأنما أدت بهم سخافة الفهم الى تجويز الترجيح بلا مرجح وقد
أحالتهم بداهة العقل

ورأس القائلين بهذا القول ديمقراطيس ، ومن رأيه أن العالم أجمع
أرضيات وسماويات مؤلف من أجزاء صغار صلبة متحركة بالطبع ومن
حركتها هذه ظهرت أشكال الأجسام وهيئاتها بقضاء العناية المطلقة
وذهب فريق آخر الى أن الاجرام السماوية والكرة الأرضية
كانت على هيئتها هذه من أزل الآزال ولا تزال ولا ابتداء لسلسلة
النباتات والحيوانات وزعموا أن في كل بذرة نباتاً مندمجاً فيها وفي كل نبات
بذرة كامنة ثم في هذه البذرة الكامنة نبات وفيه بذرة الى غير النهاية ،
وعلى هذا زعموا أن في كل جرثومة من جراثيم الحيوانات حيواناً تام
التركيب وفي كل حيوان كامن في الجرثومة جرثومة أخرى يذهب كذلك
الى غير نهاية

وغفل أصحاب هذا الزعم عما يلزمه من وجود مقادير غير متناهية
في مقدار متناه وهو من المحالات الأولية

وزعم فريق ثالث أن سلسلة النباتات والحيوانات قديمة بالنوع كما
ان الاجرام العلوية وهيئاتها قديمة بالشخص ولكن لا شئ من جزئيات
الجراثيم الحيوانية والبزور النباتية بقديم وانما كل جرثومة وبذرة هي بمنزلة
قالب يتكون فيه ما يشاكله من جرثومة وبذرة أخرى

وفاتهم ملاحظة أن كثيراً من الحيوانات الناقصة الخلقة قد يتولد عنها حيوان تام الخلقة وكذلك الحيوان التام الخلقة قد يتولد عنه ناقصها أو زائدها

ومال جماعة منهم الى الابهام في البيان فقالوا ان أنواع النباتات والحيوانات تقلبت في أطوار وتبدلت عليها صور مختلفة بمرور الزمان وكرور الدهور حتى وصلت الى هيئاتها وصورها المشهودة لنا ، وأول النازعين الى هذا الرأي (ابيقور) أحد اتباع (ديوجينيس الكلبي) ومن مزاعمه أن الانسان في بعض أطواره كان مثل الخنزير مستور البشرة بالشعر الكثيف ثم لم يزل ينتقل من طور الى طور حتى وصل بالتدريج الى ما نراه من الصورة الحسنة والخلق القويم ولم يبق دليلاً ولم يستند على برهان فيما زعمه من ان مرور الزمان علة لتبدل الصور وترقى الأنواع

ولما كشفت علوم الجيولوجيا (طبقات الأرض) عن بطلان القول بقديم الأنواع رجع المتأخرون من الماديين عنه الى القول بالحدوث ثم اختلفوا في بحثين ، الأول بحث تكون الجراثيم النباتية والحيوانية فذهب جماعة الى أن جميع الجراثيم على اختلاف أنواعها تكونت عند ما أخذ التهاب الأرض في التناقص ثم انقطع التكون بانقضاء ذلك الطور الارضى وذهبت أخرى الى أن الجراثيم لم تزل تتكون حتى اليوم خصوصاً في خط الاستواء حيث تشتد الحرارة

وعجزت كلتا الطائفتين عن بيان السبب لحياة تلك الجراثيم حياة نباتية أو حيوانية خصوصاً بعد ما تبين لهم أن الحياة فاعل في بسائط الجراثيم

موجب لالتئامها حافظ لكونها وأن قوتها الغذائية هي التي تجعل غير الحى
من الأجزاء حياً بالتغذية ، فإذا ضعفت الحياة ضعف تماسك البسائط
وتجاذبها ثم صارت الى الانحلال

وظن قوم منهم أن تلك الجراثيم كانت مع الأرض عند انفصالها عن
كرة الشمس

وهو ظن عجيب لا ينطبق على أصلهم من ان الأرض عند الانفصال
كانت جدوة نار ملتهبة ، وكيف لم تحترق تلك الجراثيم ، ولم تمح صورها
فى تلك النيران المستعرة

والببحث الثانى من موضع اختلافهم صعود تلك الجراثيم من حضيض
نقصها الى ذروة كمالها وتحولها من حالة الخداج (النقص) الى ما نراه من
الصور المتقنة والهيئات المحكمة والبنى الكاملة ، فمنهم قائل بأن لكل نوع
جرثومة خاصة به ، ولكل جرثومة طبيعة تميل بها الى حركة تناسبها
فى الأطوار الحيوية وتجذب اليها ما يلائمها من الأجزاء الغير الحية ليصير
جزءاً لها بالتغذية ثم تجلوه بلباس نوعه ، وقد غفلوا عما أثبتته التحليل
الكيمائى من عدم التفاوت بين نطفة الانسان ونطفة الثور والحمار مثلاً
وظهور تماثل النطف فى العناصر البسيطة ، فما منشأ التخالف فى طبائع
الجراثيم مع تماثل عناصرها ، ومنهم ذاهب الا أن جراثيم الانواع كافة
خصوصاً الحيوانية متماثلة فى الجوهر متساوية فى الحقيقة وليس بين الانواع
تخالف جوهرى ولا انفصال ذاتى ومن هذا ذهب صاحب هذا القول الى
جواز انتقال الجرثومة الواحدة من صورة نوعية الى صورة نوعية أخرى

بمقتضى الزمان والمكان وحكم الحاجات والضرورات وقضاء سلطان القوا سر
الخارجية

ورأس القائلين بهذا القول (دروين) وقد ألف كتاباً في بيان ان
الانسان كان قرداً ثم عرض له التنقيح والتهذيب في صورته بالتدرج على
تتالي القرون المتطاولة وبتأثير الفواعل الطبيعية الخارجية حتى ارتقى الى
برزخ (اوروان أوتان) ثم ارتقى من تلك الصورة الى أول مراتب الانسان
فكان صنف اليميم وسائر الزوج ومن هناك عرج بعض أفرادہ الى أفق
أعلى وأرفع من أفق الزنجيين فكان الانساني القوقاسي

وعلى زعم دروين هذا يمكن أن يصير البرغوث فيلا بمرور القرون
وكر الدهور وأن ينقلب الفيل برغوثاً كذلك

فان سئل دروين عن الأشجار القائمة في غابات الهند والنباتات
المتولدة فيها من أزمان بعيدة لا يحددها التاريخ الا ظناً وأصولها تضرب
في بقعة واحدة وفروعها تذهب في هواء واحد وعروقها تسقى بماء واحد
فما السبب في اختلاف كل منها عن الآخر في بنيتها وأشكال أوراقه
وطوله وقصره وضخامته ورقته وزهره وثمره وطعمه ورأحته وعمره فأى
فاعل خارجي أثر فيها حتى خالف بينها مع وحدة المكان والماء والهواء
أظن لا سبيل الى الجواب سوى العجز عنه

وان قيل له هذه أسماك بحيرة أورال وبحر كسين مع تشاركها
في المأكل والمشرب وتسابقها في ميدان واحد نرى فيها اختلافاً نوعياً
وتبايناً بعيداً في الألوان والأشكال والأعمال، فما السبب في هذا

التباين والتفاوت فلا أراه يلجأ في الجواب الا الى الحصر (بالتحريك
المعجز عن الكلام)

وهكذا لو عرضت عليه الحيوانات المختلفة البنى والصور والقوى
والخواص وهي تعيش في منطقة واحدة ولا تسلم حياتها في سائر المناطق
أو الحشرات المتباينة في الخلقة المتباعدة في التركيب المتولدة في بقعة واحدة
ولا طاقة لها على قطع المسافات البعيدة لتجلى الى تربة تخالف تربتها فماذا
تكون حجته في علة اختلافها . كأنها تكون كسفاً لا كسفاً

بل اذا قيل له أى هادهدى تلك الجرائم في نقصها وخداجها وأى
مرشد أرشدها الى استتمام هذه الجوارح والأعضاء الظاهرة والباطنة ،
ووضعها على مقتضى الحكمة وايداع كل منها قوة على حسبه ونوطها بكل
قوة في عضو أداء وظيفة وايفاء عمل حيوى مما عجز الحكماء عن درك سره
ووقف علماء الفسولوجيا دون الوصول الى تحديد منافعه ، وكيف صارت
الضرورة العمياء معلماً لتلك الجرائم وهادياً خبيراً لطرق جميع الكمالات
الصورية والمعنوية لا ريب انه يقبع قبوع القنفذ وينتكس بين أمواج
الخيرة يدفعه ريب ويتلقاه شك الى أبد الآبدين

وكأنى بهذا المسكين وما رماه في مجاهيل الأوهام ومهامه الخرافات
الأقرب المشابهة بين القرد والانسان وكأن ما اخذ به من الشبه الواهية
ألمية يشغل بها نفسه عن آلام الخيرة وحسرات العاية وانا نورد شيئاً مما
تمسك به

فمن ذلك ان الخيل في سيبيريا وبلاد الروسية اطول واغزر شعراً من

الخليل المتولدة في البلاد العربية وانما علة ذلك الضرورة وعدمها
ونقول ان السبب فيما ذكره هو عين السبب لكثرة النبات وقتله
في بقعة واحدة لوقتین مختلفین حسب كثرة الأمطار وقتلها ووفور المياه
ونزورها او هو علة النجافة ودقة العود في سكان البلاد الحارة والضخامة
والسمن في اهل البلاد الباردة بما يعترى البدن من كثرة التحلل في الحرارة
وقتلته في البرودة

ومن واهياته ما كان يرويه (دروين) من ان جماعة كانوا يقطعون
اذناب كلابهم فلما واظبوا على عملهم هذا قرونا صارت الكلاب تولد بلا
اذناب كأنه يقول حيث لم تعد للذنب حاجة كفت الطبيعة عن هبته .
وهل صمت اذن هذا المسكين عن سماع خبر العبرانيين والعرب وما يجرونه
من اختان الوفا من السنين لا يولد مولود حتى يخنن والى الآن لم يولد واحد
منهم مختوناً الا لا عجز

ولما ظهر لجماعة من متأخري الماديين فساد ما تمسك به اسلافهم
نبذوا آراءهم واخذوا طريقاً جديدة فقالوا ليس من الممكن ان تكون
المادة العارية عن الشعور مصدراً لهذا النظام المتقن والهيئة البديعة
والأشكال المعجبة والصور الأنيقة وغير ذلك مما خفي سره وظهر أثره
ولكن العلة في نظام الكون علوية وسفلية والموجب لاختلاف الصور
والمقدر لأشكالها واطوارها وما يلزم لبقائها تتركب من ثلاثة اشياء
(متيير) و (فورس) و (اتليجانس) اى مادة وقوة وادراك

وظنوا ان المادة بما لها من القوة وما يلابسها من الادراك تجلت

وتجلى بهذه الأشكال والهيئات وعند ما تظهر بصور الأجساد الحية نباتية كانت او حيوانية تراعى بما لا يسها من الشعور ما يلزم لبقاء الشخص وحفظ النوع فتنشئ لها من الأعضاء والآلات ما يفي بأداء الوظائف الشخصية والتنوعية مع الالتفات الى الأزمنة والأمكنة والفصول السنوية. هذا النفس ما وجدوا من حلية لمذهبهم العاقل بعد ما دخلوا الف جحر وخرجوا من الف نفق وما هو بأقرب الى العقل من سائر اوهامهم ولا هو بالمنطبق على سائر اصولهم فانهم يرون كسائر المتأخرين ان الأجسام مركبة من الأجزاء الديمقراطيسية، ولا ينطبق رأيهم الجديد في علة النظام الكونى على رأيهم في تركيب الأجسام

وذلك لأنه يلزم على القول بشعور المادة ان يكون لكل جزء ديمقراطيسى شعور خاص كما يلزم ان تكون له قوة خاصة ينفصل بهما عن سائر الأجزاء اذ لا يمكن قيام العرض الواحد وحدة شخصية بمحلين فلا يقوم علم واحد بجزئين ولا بأجزاء

وبعد هذا فأتى سائلهم كيف اطلع كل جزء من اجزاء المادة مع انفصالها على مقاصد سائر الأجزاء وبأية آلة افهم كل منها باقية ما ينويه من مطلبه واى برلمان (مجلس الشورى) او اى - نات (مجلس الشيوخ) عقدت للتشاور فى ايداع هذه المكونات العالوية التركيب البديعة التأليف وأنى لهذه الأجزاء ان تعلم وهى فى بيضة العصفور ضرورة ظهورها فى هيئة طير يأكل الحبوب، فمن الواجب ان يكون له منقار وحوصلة لحاجته فى حياته اليهما واذا كانت فى بيض الشاهين والعقاب فمن اين لها

العلم بأنها تقوم طيراً يأكل اللحوم فلا بد له من منسر ومخلاب يصول بهما في الصيد لاقتناص ما يحتاج اليه من حيوان ثم ينسر لحمه لياً كله

ومن اين لها ان تعلم وهي في مشيمة الكلبة انها ستكون على صورة انثى الجرو ثم تكبر حتى تبلغ حد الادراك ثم تكون حبلى لوقت من الأوقات وقد تلد اجراء متعددة في زمن واحد فهي تهبأ لطبيها حملات كثيرة على حسب حاجة اجرائها

ومن لهذه الأجزاء المتبددة ان تدرك حاجة الحيوانات الى القلب والرئة والمخ والمخيخ وسائر الأعضاء والجوارح ، لو عقلت هذه الطائفة مارمى اليه سؤال هذا لارتكست في افكارها وانقلبت الى تهور من الحيرة لا ترفع منه رأساً ولا تحير جواباً الى ان يتخبطهم شيطان الجهل ، فيقولون ولا يعون ان لكل جزء من هذه الأجزاء الديمقراطية علماً بجميع ما كان وما يكون وبجميع مافى العالم من الأجزاء علوياً كان أو سفلياً ، ولكل منها حرص على مراعاة نظام الكون واركانه فيتحرك كل منها للانضمام الى الآخر على وفق ما يريد من المصلحة حتى لا يقع الخلل في شئ من نظم العالم عاماً كان او خاصاً ، وبهذا قام العالم على ناموس واحد

فان افضت بهم العناية الى هذا القول قلنا اولاً يلزمهم ان كل جزء ديمقراطيى يحتوى على ابعاد غير متناهية وهو في صغره لا يدرك ولا بالمكروسكوب (النظارة المعظمة) وبيان الازوم ان العلم عندهم انما هو بارتسام الصور المعلومة في ذات العالم وهو مادي في موضوعنا فكل

صورة معلومة تأخذ منه بعداً بمقدارها والصور العلمية على هذا الزعم غير متناهية وكلها يرسم في مادة الجزء العالم فيكون في كل جزء وهو متناه الى غاية الصور أبعاد غير متناهية للصور الغير متناهية ، وهذا مما تبطله بداهة العقل

وثانياً ان كانت الأجزاء الديمقراطيةيسية بالغة من العلم هذا المبلغ وهى من القوة على نحوه اذ لا قوة الا بها على رأيهم فلم لم تبلغ الكائنات ، وهى هى غاية ما يمكن لها من الكمال ولم تنزل بذواتها الآلام والاصاب ثم تعاني العناء فى احتمالها أو التخلص منها ولم قصر ادراك الانسان وادراك سائر الحيوانات وهو عين ادراك هذه الأجزاء على هذا المذهب عن اكتناء حالها أنفسها وعجز عن حفظ حياتها

واعجب من هذا ان المتأخرين من الماديين بعد ما صافحوا كل خرافة لتأييد مذهبهم حاصوا الى الحيرة فى بعض الأمور فلم يستطيعوا تطبيقها على أصل من أصولهم الفاسدة لا أصل الطبع ولا أصل الشعور وذلك عند ما رأوا شيئين يختلفان فى الخواص وعناصرهما تظهر عند التحليل متماثلة ولم يجدوا المحيص عن الوقفة بعد ما قدموا من الترهات الا بالحكم على الأجزاء الديمقراطيةيسية رجماً بالغيب بأنها ذوات أشكال مختلفة وعلى حسب الاختلاف فى الأشكال والأوضاع كان الاختلاف فى الآثار والخواص .

وبالجملة فهذه عشرة مذاهب اختلف اليها منكروا الالهية الزاعمون ان لا وجود للصانع الا قدس وهم المعروفون بين شيعهم أو عند الالهيين

بالطبيين والماديين والدهريين وان شئت قلت نيشريين وناطور اليسمين
وما تثير اليسمين. وسنأتى على تفصيل مذاهبهم ودحض حججها بالبيانات
العقلية فى رسالة أوسع من هذه ان شاء الله تعالى

ولا يظن ظان أنا نقصد من مقالنا هذا تشنيعاً بهؤلاء (البياجوات)
الهنديين (البياجوا اسم ايطاليانى اشتهر فى الهند لمن يقلد الماهر فى اللعب
بحركات غير منسقة لاضحاك الناظرين ويعبر عنه فى العربية بالخلايس
وأصله الشئ لا نظام له والطبيعيون فى الهند يمثلون أحوال الدهريين
فى أوربا تمثيلاً مضحكاً) كلا ان هؤلاء لا نصيب لهم من العلم بل ولا من
الانسانية ، فهم بعيدون من مواقع الخطاب ساقطون عن منزلة اللوم
والاعتراض ، نعم لو أريد انشاء تياترو (ملهى) أو (كطبتلى) (نوع من
اللعب يشخصون فيه أحوال ملوك الهند الأقدمين) لتمثل فيه أحوال
الأمم المتمدنة مست الحاجة الى هؤلاء لاقامة هذه الألعاب وانما غرضنا
الأصلى اعلان الحق واظهار الواقع والآن نعتد الشروع فى بيان المفسد
الذى جلبها الماديون (النيشريون) على نظام المدنية والمضار التى تضعع لها
بناء الهيئة الاجتماعية وكان منشأوها فشوا أفكارهم

مظاهر الماديين ومقاصدهم

تخالفت مظاهر الماديين في الأمم والأجيال المختلفة ، فتخالفت
أسماءهم ، فكانوا تارة يسمون أنفسهم بسمات الحكماء ، وينتحلون الحكيم
لقباً لأفرادهم ، وأحياناً كانوا يتسمون بسماء دافع الظلم ورفع الجور ،
وكثيراً ما تقدموا لمسارح الانظار تحت لباس عراف الاسرار وكشفة
الحقائق والرموز والواصلين من كل ظاهر الى باطنه ومن كل بارز الى
كامنه وقد كانوا يظهرن في أوقات بدعوى السعى في تطهير الأذهان من
الخرافات وتنوير العقول بحقائق المعلومات ، وتارات يتمثلون في صور
محبى الفقراء وحماة الضمفاء وطلاب خير المساكين ، وكثيراً ما تجرأوا على
دعوى النبوة ولكن لا على سنن سائر المتنبئين الكذبة كل ذلك توسلاً
لاجراء مقاصدهم وترويج مفاسدهم

كيفما ظهر الماديون وفي أى صورة تمثلوا وبين أى قوم نجموا كانوا
صدمة شديدة على بناء قومهم وصاعقة مجتاحة لثمار أمهم وصدعاً متفاقماً
في بنية جيلهم يمتنون القلوب الحية بأقوالهم وينفثون السم في الارواح
بآرائهم ويزعزعون راسخ النظام بمساعيهم فما رزئت بهم أمة ولا منى
بشرهم جيل الا انتكث قتله وسقط عرشه وتبددت آحاد الأمة وفقدت
قوام وجودها.

كان الانسان ظلوماً جهولاً . خلق الانسان هلوفاً . اذا مسه الشر
جزوعاً واذا مسه الخير منوعاً . جيل الانسان على الحرص وكأنه منهوم

لشرب الدماء لم يحرم الانسان من لطف مبدعه فكما أبدعه ألزم الدين وجوده فتمسك الناس منه بأصول وانطبعوا به على خصال توارثها الابداء عن الآباء في قرون بعد قرون ومهما غيروا وبدلوا كانت بقايا ما ورثوه لا تزال تشرق على عقولهم بانوار من المعرفة مهتدون بها الى سعادتهم ويقيمون في ضوئها أساس مدنيته ولم يبطل أثرها في تعديل أخلاقهم وكف أيديهم عن التطاول الى الشرور والمفاسد وبهذا كان للاقدمين من أهل القرون الاولى ما كان لهم من نوع الثبات والبقاء

وطائفة النيشرية كلما ظهرت في أمة سمعت في قلع تلك الأصول وأفساد تلك الخصال حتى اذا لمع لها بارق من النجاح وهت أركان الامة وانهارت الى هوانة الاضمحلال والعدم وهذه الطائفة هي الآن كما كانت تسلك منهج أسلافها الاولين وأنا نوضح ذلك بمجمل من البيان

ما أفاد الدين من العقائد والخصال

أكسب الدين عقول البشر ثلاث عقائد وأودع نفوسهم ثلاث خصال كل منها ركن لوجود الامم وعماد لبناء هيئتها الاجتماعية وأساس محكم لمدنيته وفي كل منها سائق يحث الشعوب والقبائل على التقدم لغايات السكال والرقى الى ذرى السعادة ومن كل واحدة وازع قوى يباعد النفوس عن الشر ويزعمها عن مفارقة الفساد ويصدها عن مقاربة ما يبئدها ويبدها (العقيدة الاولى) التصديق بأن الانسان ملك أرضى وهو أشرف المخلوقات (والثانية) يقين كل ذى دين بان أمته أشرف الأمم وكل

مخالف له فعلى ضلال وباطل (والثالثة) جزمه بأن الانسان انما ورد هذه الحياة الدنيا لاستحصل كمال يهيئه للعروج الى عالم أرفع وأوسع من هذا العالم الدنيوى والانتقال من دار ضيقة الساحات كثيرة المكر وهات جديدة أن تسمى بيت الأحران وقرار الآلام الى دار فسيحة الساحات خالية من المؤلمات لا تنقضى سعادتها ولا تنتهى مدتها

لا يغفل العاقل عما يتبع هذه العقائد الثلاث من الآثار الجليلة فى الاجتماع البشرى والمنافع الجمّة فى المدنية الصحيحة وما يعود منها بالاصلاح على روابط الأمم وما لكل واحدة من الدخل فى بقاء النوع والميل بافراده لأن يعيش كل منهم مع الآخر بالمسالمة والمواودة والأخذ بهمهم الأمم للصمود فى راقى الكمال النفسى والعقلى

من البين أن اسكل عقيدة لوازم وخواص لايزايلها ، فمما يلزم الاعتقاد بان الانسان أشرف المخلوقات ترفع المعتقد بحكم الضرورة عن الخصل البهيمية واستنكافه عن ملابسة الصفات الحيوانية ولا ريب أنه كلما قوى الاعتقاد اشتد به النفور من مخالطة الحيوانات فى صفاتها وكلما اشتد هذا النفور سما بروحه الى العالم العقلى وكلما سما عقله أوفى على المدنية وأخذ منها باوفر الحظوظ حتى قد ينتهى به الحال الى أن يكون واحداً من أهل المدنية الفاضلة يحى مع اخوانه الواصلين معه الى درجته على قواعد المحبة وأصول العدالة وتلك نهاية السعادة الانسانية فى الدنيا وغاية ما يسمى اليه العقلاء والحكماء فيها

فهذه العقيدة أعظم صارف للانسان عن مضارعة الحمر الوحشية فى

معيشتها والثيران البرية في حالتها ومضاربة البهائم السائمة والدواب الهاملة والهوام الراشحة لا تستطيع دفع مضرة ولا التقية من عادية ولا تهتدى طريقاً لحفظ حياتها وتقضى آجالها في دهشة الفزع ووحشة الانفراد هذه العقيدة أشد زاجر لا بناء الانسان عن التقاطع المؤدى لاقتراس بعضهم بعضاً كما يقع بين الاسود الكاسرة والوحوش الضارية والكلاب العاقرة وأشد مانع يدفع صاحبها عن مشاكلة الحيوانات من خسائس الصفات وهذه العقيدة أحجى حاد للفكر في حركاته وأنبج داع للعقل في استعمال قوته وأقوى فاعل في تهذيب النفوس وتطهيرها من دنس الرذائل ان شئت فارم بنظر العقل الى قوم لا يعتقدون هذا الاعتقاد بل يظنون أن الانسان حيوان كسائر الحيوانات ثم تبصر ماذا يصدر عنهم من ضروب الدنيا والرذائل والى أى حد تصل بهم الشرور وبأى منزلة من الدناءة تكون نفوسهم وكيف أن السقوط الى الحيوانية يقف بعقولهم عن الحركات الفكرية

ومن خواص يقين الأمة بانها أشرف الأمم وجميع من يخالفها على الباطل أن ينهض آحادها لمكاثرة الأمم في مفاخرها ومساءماتها في مجدها ومسابقتها في شرائف الأمور وفضائل الصفات وأن يتفق جميعها على الرغبة في فوت جميع الأمم والتقدم عليها في المزايا الانسانية عقلية كانت أو نفسية ومعاشية كانت أو معادية وتأبى نفس كل واحد عن اعطاء الدنية والرضى بالضم لنفسه أو لأحد من بنى أمته ولا يسره أن يرى شيئاً من العزة أو مقاما من الشرف لقوم من الاقوام حتى يطلب لأمته أفضله

وأعلاه . ذلك أنه بهذا الاعتقاد يرى أبناء قومه أليق وأجدر بكل ما يعد
شرفاً إنسانياً

فإن جارت صروف الدهر على قومه فأضرعتهم أو ثلمت مجدهم أو
سلبتهم مزية من مزايا الفضل لم تستقر له راحة ولم تنشأ له حمية ولم يسكن
له جيشان فهو يمضي حياته في علاج ما ألم بقومه حتى يأسوه أو يموت
في أساه

فهذه العقيدة أقوى دافع للأُم إلى التسابق لغايات المدنية وأمضى
الاسباب بها إلى طلب العلوم والتوسع في الفنون والابداع في الصنائع
وانها لا تبلغ في سوق الأُم إلى منازل العلاء ومقاوم الشرف من غالب
قاسر ومستبد قاهر عادل

وان أردت فالمح بعقلك حال قوم فقدوا هذا اليقين ماذا تجد من
فتور في حركات آحادهم نحو المعالي وماذا ترى من قصور في همهم عن
درك الفضائل وماذا ينزل بقواهم من الضعف وماذا يحل بديارهم من الفقر
والمسكنة وإلى أي هوة يسقطون من الذلة والهوان خصوصاً إذا بنى
عليهم الجهل فظنوا أنهم أدنى من سائر الملل كطائفة (الدهير) و (مانك)
ومن مقتضيات الجزم بأن الانسان ما ورد هذا العالم الا ليتزود منه
كحالا يعرج به إلى عالم أرفع ويرتحل به إلى دار أوسع وجناب أمرع
ليرع واديه وتجنى حليه أن من أشربت هذه العقيدة قلبه ينبعث بحكمها
وينساق بحاديها لإضاءة عقله بالعلوم الحقة والمعارف الصافية خشية أن
يهبط به الجهل إلى تقص يحول دون مطلبه ثم ينصرف همه لأبراز ما أودع

فيه من القوة السامية والمدارك العقلية والخواص الجليلة باستعمالها فيما خلقت له فينجلى كماله من عالم الكمون الى عالم الظهور ويرتقى من درجة القوة الى مكانة الفعل فهو ينفق ساعاته في تهذيب نفسه وتطهيرها من دنس الرذائل ولا يناله التقصير في تقويم ملكاته النفسية وينزع لكسب المال من الوجوه المشروعة متنكباً عن طرق الخيانة ووسائل الكذب والحيلة معرضاً عن أبواب الرشوة مترفعاً عن الملق الكلبى والخداع الثعلبى ، ثم ينفق ما كسب فى الوجه الذى يليق وعلى الوجه الذى ينبغى وبالتقدير الذى ينبغى لا يأتى فيه باطلا ولا يغفل حقاً عاماً أو خاصاً

فهذه العقيدة أحكم مرشد وأهدى قائد للانسان الى المدنية الثابتة المؤسسة على المعارف الحقة والأخلاق الفاضلة وهذا الاعتقاد أشد ركن لقوام الهيئة الاجتماعية التى لا عماد لها الا معرفة كل واحد حقوقه وحقوق غيره والقيام على صراط العدل المستقيم هذا الاعتقاد أنجع الذرائع لتوثيق الروابط بين الأمم اذ لا عقد لها الا مراعاة الصدق والخضوع لسلطان العدل فى الوقوف عند حدود المعاملات ، هذا الاعتقاد نفحة من روح الرحمة الازلية تهب على القلوب ببرد الهدون والمسائلة فان المسائلة ثمرة العدل والمحبة والعدل والمحبة زهر الاخلاق والسجيا اخسنة وهى غراس تلك العقيدة التى تحيد بصاحبها عن مضارب الشرور وتنجيها من متائنه الشقاء وتعاسة الجد وترفعه الى غرف المدنية الفاضلة وتجلسه على كرسى السعادة

وقد يسهل عليك أن تتخيل جيلا من الناس حرم هذه العقيدة فكم

يبدو لك فيه من شقاق وكذب ونفاق وحيل وخداع ورشوة واختلاس
وكم يغشى نظرك من مشاهد الحرص والشره والغدر والاعتيال وهضم
الحقوق والجدال والجلاد وكم تحس فيه من جفاء للعلم وعشوة عن نور
المعرفة .

الخصال السلبية

وأما الخصال الثلاثة التي توارثها الأمم من تاريخ قد لا يحد قدما
وانما طبعها في نفوسهم طابع الدين (فاحداها خصلة الحياء) وهو انفعال
النفس من اتيان ما يجلب اللامة وينجى عليها بالتوبيخ وتأثرها من التلبس
بما يعد عند الناس نقصاً وفي الحق أن يقال ان تأثير هذه الخلة في حفظ
نظام الجمعية البشرية وكف النفوس عن ارتكاب الشنائع أشد من تأثير
مئين من القوانين وآلاف من الشرط والمحتسبين فان النفوس اذا مزقت
حجاب الحياء وسقطت الى حضيض الخسة والدناءة ولم تبال بما يصدر
عنها من الأعمال فأى عقاب يردعها عن المفاصد التي تخل بنظام الاجتماع
سوى القتل وقد لاحظ ذلك (سولون) حكيم اليونان حيث جعل القتل
جزاء كل عمل قبيح حتى الكذبة الواحدة

وخله الحياء يلزمها شرف النفس وهو مما تدور عليه دائرة المعاملات
وتتصل به سلسلة النظام وهو مناط صحة العقول والتزام أحكامها وهو
معظم الوفاء بالعهود وهو رأس مال الثقة بالانسان في قوله وعمله وشيمته
الحياء هي بعينها شيمة الآباء وسجية الغيرة وانما تختلف أسماؤها باختلاف

جهاتها وآثارها في ردع النفس عن شئ أو حملها على عمل والأباء والغيرة
هما مبعث حركات الامم والشعوب لاستفادة العلوم والمعارف وتسهم في
الشرف والرفعة وتقوية الشركة وبسط جناح العظمة وتوفير مواد الغنى
والثروة .

وكل أمة فقدت الغيرة والأباء حرمت الترقى وان تسنى لها من
أسبابه ما تسنى فهي تعطى الدنية ولا تأنف من الخسة وتضرب عليها الذلة
والمسكنة حتى ينقضى أجلها من الوجود ، ملكة الحياء تنتهى اليها روابط
الألفة بين آحاد الأمة في معاشراتهم ومخالطاتهم فان حبال الألفة انما
يحكمها حفظ الحقوق والوقوف عند الحقوق ، ولا يكون ذلك الا بهذه
الملكة الكريمة ، هذه سجية تزين صاحبها بالآداب وتنفره عن الشهوات
البهيمية وتفيض روح الاعتدال على حركاته وسكناته وجميع أعماله هذا
هو الخلق الفرد الذى ينهض بصاحبه لمجارات أرباب الفضائل ويتجافى به
عن مضاجع النقائص ويأنف به عن الرضاء بالجهل والغباوة أو الضعة
والضراعة ، هذا الوصف الكريم هو منبت الصدق ومغرس الأمانة ،
وهما معه في قرن ، هذا الوصف هو آلة المعلمين والقائمين على التربية والدعاة
لمكارم الأخلاق والمولعين بترقية الفضائل صورية ومعنوية يستعملونها
في نصائحهم يذكرون بها الغافل ويحرضون الناكل ويوقظون النائم ،
ويقعدون القائم ، ألا ترى المعلم الحكيم كيف يعظ تلميذه بقوله ألا
تستحي من تقدم قرينك عليك وتخلقك عنه ، فان لم تكن هذه الخصلة
فلا أثر للتوبيخ ولا نفع للتقريع ولا نجاح للدعوة ، فانكشف مما بينا أن

هذه الخلقة مصدر لجميع الطيبات ومرجع لكل فضيلة وسلم لكل ترق
ويمكن لنا ان نفرض قومًا هجر الحياء نفوسهم فماذا نرى فيهم سوى
الجاهرة بالفحشاء والمنافسة في المنكر وشرس الطباع وسوء الأخلاق
والاخلاق الى دنيات الأمور وسفاسف الشؤون وكفى بمشهدهم شناعة أن
نرى تغلب الشهوات البهيمية عليهم وتملك الصفات الحيوانية لارادتهم ،
وتسلطها على أفعالهم

(والخصلة الثانية الأمانة) من المعلوم الجلى أن بقاء النوع الانساني
قائم بالمعاملات والمعاوضات في منافع الأعمال وروح المعاملة والمعاوضة انما
هى الأمانة ، فان فسدت الأمانة بين المتعاملين بطلت صلات المعاملة
وانبترت حبال المعاوضة ، فاختلف نظام المعيشة وأفضى ذلك بنوع الانسان
الى الفناء العاجل

ثم من البين أن الأمم في رفاهتها والشعوب في راحتها وانتظام أمر
معيشتها محتاجة الى الحكومة بأى أنواعها اما جمهورية أو ملكية مشروطة
أو ملكية مقيدة والحكومة فى أى صورها لا تقوم الا برجال يلون
ضروباً من الأعمال فمنهم حراس على حدود المملكة يحمونها من عدوان
الأجانب عليها ويدافعون الواجب فى ثغورها وحفظه فى داخل البلاد يأخذون
على أيدي السفهاء ممن يهتك ستر الحياء ويميل الى الاعتقاد من فتك أو سلب
أو نحوهما ومنهم حملة الشرع وعرفاء القانون يجلسون على منصات الأحكام
لفصل الخصومات والحكم فى المنازعات ومنهم أهل جباية الأموال يحصلون
من الرعايا ما فرضت عليهم الحكومة من خراج مع مراعاة قانونها فى ذلك

ثم يستحفظون ما يحصلون في خزائن المملكة وهي خزائن الرعايا في الحقيقة
وان كانت مفاتيحها بأيدي خزنتها ومنهم من يتولى صرف هذه الاموال
في المنافع العامة للرعية مع مراعاة الاقتصاد والحكمة كانشاء المدارس
والمكاتب وتمهيد الطرق وبناء القناطر واقامة الجسور واعداد المستشفيات
ويؤدي أرزاق سائر العاملين في شؤون الحكومة من الحراس والحفظة
وقضاء العدل وغيرهم حسبما عين لهم وهذه الطبقات من رجال الحكومة
الوالين على أعمالها انما تؤدي كل طبقة منها عملها المنوط بها بحكم الامانة
فان خزيت امانة أولئك الرجال وهم أركان الدولة سقط بناء السيادة وسلب
الأمن وزاحت الراحة من بين الرعايا كافة وضاعت حقوق المحكومين
وفشا فيهم القتل والتناهب ووعرت طرق التجارة وتفتحت عليهم أبواب
الفقر والفاقة وخوت خزائن الحكومة وعميت على الدولة سبل النجاح
فان حزبها أمر سدت عليها نوافذ النجاة ولا ريب أن قوماً يساسون
بالحكومة خائنة اما أن ينقضوا بالفساد واما أن يأخذهم جبروت أمة أجنبية
عنهم يسومونهم خسفاً ويستبدون فيهم عسفاً فيذوقون من مرارة العبودية
ما هو أشد من مرارة الانقراض والزوال

ومن الظاهر أن استعلاء قوم على آخرين انما يكون باتحاد آحاد
العالمين والتثام بعضهم ببعض حتى يكون كل منهم لبنية قومه كالعضو
للبدن ولن يكون هذا الاتحاد حتى تكون الأمانة قد ملكت قيادتهم
وعمت بالحكم أفرادهم
فقد كشف الحق أن الأمانة دعامة بقاء الانسان ومستقر أساس

الحكومات وباسط ظلال الأمن والراحة ورافع أبنية العز والسلطان
وروح العدالة وجسدها ولا يكون شيء من ذلك بدونها

واليك الاختيار في فرض أمة عطلت نفوسها من حلية هذه الخلقة
الجليلة فلا تجد فيها الآفات جائحة ورزايا قاتلة وبلايا مهلكة وفقراً معوزاً
وذلكاً معجزاً ثم لا تلبث بعد هذا كله أن تبتلعها بلاليع العدم وتلتهمها
أمهات اللهيم

(الخصلة الثالثة الصدق) الانسان كثير الحاجات غير معدود
الضرورات وكل ما يسد حاجاته ويدفع ضروراته وراء ستار الخفاء محبوب
وتحت حجاب الغيب مكنون. قذف بالانسان من غيب بجهله الى ظهور
لا يعرفه فقام في بدأ نشأته في زاوية عماء لا يذكر اسماً ولا يهتد رسماً، هذا
الانسان على ضعفه كأنما أحفظ الا كوان قبل وجوده فأرصدت له القتال
وهيأت له النصال فله في كل مثناة منها كامنة بلية وفي كل حنو رابضة
رزية وكل أفاق سهمه في قسي الادوار الزمنية ليصيب مقاتل الانسان

منح الانسان خمسة مشاعر السمع والبصر والذوق والشم ولكن
لاغنائها في هدايته لأقرب حاجاته وارشاده لدفع ماخف من ضروراته
فأحجبى أن لا كفاء لها في استطلاع مكامن البلايا واستكشاف مخابئ
الرزايا ليأخذ حذرته ويحرز أمره فهو في حاجة كل الحاجة للاستعانة بمشاعر
أمثاله من بني جنسه والاستهداء بمعارفهم ليتفادى بهدايتهم من بعض
لاساعات المصائب ويصيب من الرزق ما فيه قوام معيشته وسداد عوزه
والاستهداء انما يكون بالاستخبار ولا تتم فائدة الخبر في الهداية الا أن

يكون من مصدر صدق يحدث عن موجود ويحكي عن مشهود والا فما الهداية في خبر لا واقع له

نعم الكاذب يرى البعيد قريباً والقريب بعيداً ويظهر النافع في صورة الضار والضرار في صورة النافع فهو رسول الجهالة وبعيث الغواية وظهير الشقاء ونصير البلاء

فعلى ما تقدم تكون صفة الصدق ركناً ركيناً للوجود الانساني وعماداً للبقاء الشخصي والنوعي وموصل للعلائق الاجتماعية بين آحاد الشعوب ولا تتحقق ألفة مدنية أو منزلية بدونه

وانظر فيما اذا فقدت أمة خلة الصدق كيف ينيخ الشقاء بها رواحله وينفذ سوء البخت فيها عوامله وكيف ينتثر نظامها ويفسد التثامها

تفصيل غايات النبشرين

هؤلاء جحدة الالهية في أي أمة وبأي لون ظهروا كانوا يسمعون ولا يزالون يسمعون لقلع أساس هذا القصر المسدس الشكل . قصر السعادة الانسانية القائم بستة جدران ثلاث عقائد وثلاث خصال . أعاصير أفكارهم تدكدك هذا البناء الرفيع وتلقى بهذا النوع الضعيف الى عراء الشقاء وتهبط به من عرش المدنية الانسانية الى أرض الوحشة الحيوانية . وضعوا مذاهبهم على بطلان الاديان كافة وعدوها أوهاماً باطلة ومجمولات وضعية وبنوا على هذا أن لاحق لملة من الملل أن تدعى لنفسها شرفاً على سائر الملل اعتماداً على أصول دينها بل الأليق بها على رأيهم أن

تعتقد أنها ليست أولى من غيرها بفضيلة ولا أجدر بمزية ولا يخفى ما يتبع
هذا الرأي الفاسد من فتور الهمم وركود الحركات الارادية عن قصد
المعالى كما تقدم بيانه

قالوا ان الانسان في المنزلة كسائر الحيوانات وليس له من المزايا
ما يرتفع به على البهائم بل هو أخس منها خلقة وأدنى فطرة فسهلوا بذلك
على الناس اتيان القبائح وهونوا عليهم اقتراف المنكرات ومهدوا لهم طرق
البهيمية ورفعوا عنهم معاييب العدوان

ذهبوا الى أنه لا حياة للانسان بعد هذه الحياة وأنه لا يختلف عن النباتات
الارضية تنبت في اربيع مثلاً وتيبس في الصيف ثم تعود تراباً والسعيد
من يستوفي في هذه الحياة حظوظه من الشهوات البهيمية وبهذا الرأي
الفاسد اطلقوا النفوس من قيد التأثم ودفعوها الى أنواع العدوان من
قتل وسلب وهتك عرض ويسروا لها الغدر والخيانة وحملوها على فعل
كل خبيثة والوقوع في كل رذيلة واعرضوا بالعقول عن كسب الكمال
البشرى وأعدموها الرغبة في كشف الحقائق وتعرف أسرار الطبيعة

هذا الوباء المهلك والطاعون المحتاح أعنى النيشريين لا يصيب أهل
الحياة لامتناع نفوسهم عن مشاكلة البهائم وابائهم عن وضع أقدامها في
منازل الحيوانية المحضة وأنفها من الاشتراك في الأموال والابضاع
واباحة التناول مما يختص بالغير منها

ولهذا عمد هؤلاء المفسدون الى خلة الحياء ليزيلوها أو يضعفوها
فقالوا أن الحياء من ضعف النفس ونقصها فاذا قويت النفوس وتم لها

كأهلها لم يفلتها الحياء في عمل ما كائناً ما كان ، فمن الواجب الطبيعي (في زعمهم) أن يسعى الإنسان في معالجة هذا الضعف (الحياء) ليفوز بكمال القوة (قلة الحياء) وبهذه الدسيسة يخلطون بين الإنسان والهمل ويمزجونه بالهجمات من النعم ويوحدون بين حاله وتصرفه وبين حال الدواب والانعام من اباحة كل عمل والاشتراك في كل شهوة ويهونون عليه اتيان ما تأتيه في نزواتها

ولا يخفى ان الامانة والصدق منشأوهما في النفس الانسانية أمران الايمان يوم الجزاء وملكة الحياء وقد ظهر أن من أصول مذاهب هذه الطائفة ابطال تلك العقيدة ومحو هذه الملكة الكريمة فيكون تأثير آرائهم في اذاعة الخيانة وترويج الكذب أشد من تأثير دعوة داع الى نفس الخيانة والكذب ، فان منشأ الفضيلتين مادام في النفس أثر منه يبعثها على مقاومة الداعي الى الرذيلتين فيضعف أثر دعوته والمؤمن بالجزاء المبرقع بالحياء ان سقط في الخيانة أو الكذب مرة وجد من نفسه زاجراً عنهما مرة أخرى أما لو محى الايمان والحياء وهما منشأ الصدق والامانة من لوح النفس فلا يبقى منها وازع عن ارتكاب ضدتهما

وزيد في شناعة مذهبوا اليه ان في أصولهم الاباحة والاشتراك المطلقين فيزعمون ان جميع المشتبهات حق شائع والاختصاص بشئ منها يعد اغتصاباً كما سيذكر فلم يبق للخيانة محل فان الاحتيال لنيل الحق لا يعد خيانة ومثلها الكذب ، فانه يكون وسيلة للوصول الى حق معتصب (في زعمهم) فلا يعد ارتكاباً للقبیح ، لاجرم ان آراء هذه الطائفة

مروجة للخينانات باعثة على افتراء الا كاذيب جاملة بالانفس على ارتكاب
الشروع والردائل واتيان الدنيا والخبائث وأن أمة تقشوفها هذه الحوالق
لجديرة بالفناء جالية عن باحة البقاء . فقد انكشف الجفاء بما بيننا عن فساد
مشارب هذه الطائفة وعن وجه سوقها الأمم والشعوب الى مهاوى
الهلكة والدمار

وأقول انها من أشد الاعداء للنوع الانساني كافة فان ما هاج في
رؤس ابنائها من الما ليخوليا يخيّل لهم أن الاصلاح فيما يزعمون ويصور
لهم حقيقة النجاح في صور ما يتوهمون فيبيعهم هذا الفساد لا يقاد النار
في بيت هذا النوع الضعيف ليحوا بذلك رسمه من لوح الوجود فان من
الظاهر عند كل ذي ادراك أن أفراد هذا النوع يحتاجون في بقائهم الى
الى عدة صنائع لو لم تكن أهلكتهم حوادث الجو وأعوزهم القوت
الضروري والصنائع المحتاج اليها تختلف أصنافها وتتفاوت درجاتها فمنها
الخبثيس والشريف ومنها السهل ومنها الصعب وهذه الطائفة النيشرية
تسعى لتقرير الاشتراك في المشتهيات ومحو حدود الامتياز ودرس رسوم
الاختصاص حتى لا يعلو أحد عن أحد ولا يرتفع شخص عن غيره في
شيء منا ويعيش الناس كافة على حد التساوي لا يتفاوتون في حظوظهم ،
فان ظفرت هذه الطائفة بنجاح في سعيها هذا ولاق هذا الفكر الخبيث
بعقول البشر مالت النفوس الى الأخذ بالاسهل والأفضل فلا تجد من
تجشم مشاق الاعمال الصعبة ولا من يتعاطى الحرف الخسيسية طلباً

للمساواة في الرفعة فان حصل ذلك اختل نظام المعيشة وتعطلت المعاملات
وبطلت المبادلات وأفضى الى تدهور هذا النوع في هوة الهلاك نعم أن
أفكار المصايين بالماليخوليا لا تنتج أحسن من هذه النتيجة ولو فرضنا
محالا وعاش بنو الانسان على هذه الطريقة العوجاء فلا ريب أن تمحي
جميع المحاسن وضروب الزينة وفنون الجمال العملي ولا تكون لبهاء الفكر
الانسانى أثر ويفقد الانسان كل كمال ظاهر أو باطن صورى أو معنوى
ويعطل من حلى الصنائع وتغرب عنه أنوار العلم والمعرفة ويصبح في
ظلام جهل وبلاء أزل وينقلب كرسى مجده وينثل عرش شرفه ويصحر
في بادية الوحشية كسائر أنواع الحيوان ليقضى فيها أجلا قصيرا مفعما بضروب
من الشقاء محاطا بأنواع من المخاوف محسوا باخلاط من الاوجال والاهوال
فان المبدأ الحقيقى لمزايا الانسان انما هو حب الاختصاص والرغبة في
الامتياز فحما الحاملان على المنافسة السائقان الى المباراة والمسابقة فلو
سلبتهما أفراد الانسان وقفت النفوس عن الحركة الى معالى الأمور
وأغمضت العقول عن كشف أسرار الكائنات واكتناه حقائق الموجودات
وكان الانسان في معيشتة على مثال البهائم البرية ان أمكن له ذلك
وهيات هيات

مسالك التبصيريين في طلب غاياتهم

سلكوا مخارج من الطرق لبث أو هامهم الفاسدة فكانوا اذا سكنوا
الى جانب أمن جهروا بمقاصدهم بصريح المقال . واذا أزغتهم سطوة العدل

أخذوا طريق الرمز والاشارة وكنوا عما يقصدون ولوحوا الى ما يطلبون
ومشوا بين الناس مشية التدليس

وتارة كانوا يحملون على أركان القصر المسدس ليصدعوها بجملتها
في آن واحد وأخرى كانوا يعمدون الى بعضها اذا رأوا قوة المانع دون
سائرهما فيجعلون ما قصدوا منها رمي انظارهم ويكدحون لهدمه بما استطاعوا
من حول وقوة، وقد تلجئهم الضرورة الى البعد عن الاركان الستة بأسرها
فلا يأتون بما يمسه مباشرة ولكنهم يدأبون لابطال لوازمها أو ملزوماتها
ليعود ذلك بأبطالها، وقد يكتفون بأنكار الصانع جل شأنه وجحد
عقائد الثواب والعقاب ويجهدون لافساد عقائد المؤمنين علماً منهم
بأن فساد هاتين العقيدتين ﴿ الاعتقاد بالله والاعتقاد بالثواب
والعقاب ﴾ لا محالة يفضي الى مقاصدهم ويؤدي الى نتيجة أفكارهم،
وكثيراً ما سكتوا عن ذكر المبادئ وسقطوا على ذات المقصد وهو الاباحة
والاشتراك وأخذوا في تحسينه وتزيينه واستمالة النفوس اليه وقد يزيدون
على الدعوة الاقناعية باى وجوها عملاً جاهلياً تأنف منه الطباع وتأباه
شرائع الانسانية ذلك أن يأخذوا معارضهم بالغدر والاغتيال فكثيراً
ما فتكوا بألاف من الارواح البريئة وأراقوا سيولاً من الدماء الشريفة
بطرق من الحيل وضروب من الختل

ضرر مذاهب النيشريين

حتى بعقول من لا يأخذ بها اذا خالطهم

متى ظهر النيشريون في أمة نفذت وساوسهم في صدور الاشرار
من تلك الأمة واستهوت عقول الخبيثاء الذين لا يهمهم الا تحصيل
شهواتهم ونيل لذاتهم من أى وجه كان لموافقة هذه الآراء الفاسدة
لأهوائهم الخبيثة فيميلون معهم الى ترويج المشرب النيشرى واذا عتبه بين
العامّة غير ناظرين الى ما يكون من أثره. ومن الناس من لا يساهمهم في
آرائهم ولا يضرب في طرقهم الا أنه لا يسلم من مضارها ومفاسدها فان
الوهن يلم باركان عقائده والفساد يسرى لاخلأقه من حيث لا يشعر حيث
أن اغلب الناس مقلدون في عقائدهم منقادون للعادة في أخلاقهم وأقل
التشكيك وأدنى الشبهة يكفى علة لزعة قواعد التقليد وضععة قوائم
العادة. وان هؤلاء النيشريين بما يقذفون بين الناس من أباطيلهم يبدرون
في النفوس بذور المفاسد فلا يلبث أن تنمو في تراب الغفلة فتكون
ضريعا وزقوما

ولهذا قد يعم الفساد أفراد الأمة التي تظهر فيها هذه الطائفة وكل
لا يدري من أى باب دمر الفساد على قلبه فتشيع بينهم الخيانة والغدر
والكذب والنفاق ويهتكون حجاب الحياء وتصدر عنهم شنائع تذكرها
الفطرة البشرية يأتون ما يأتون من تلك القبائح مجاهرة بلا تخرج وكل

منهم وان كان يدعى بلسانه أنه مؤمن بيوم الجزاء وفي نفسه أن ذلك اعتقاده واعتقاد آبائه الا أن عمله عمل من يعتقد أن لاهياة بعده هذه الحياة لسريان عقائد النيشريين الى قلبه وهو في غفلة عن نفسه فلهذا تغلب عليهم الاثرة وهو افراط الشخص في حبه لنفسه الى حد لو عرض في طريق منفعة مضره كل العالم لطلب تلك المنفعة وان حاق الضرر بمن سواه . ومن لوازم هذه الصفة أن صاحبها يؤثر منفعته الخاصة على المنافع العامة ويبيع جنسه وأمته بأبخس الاثمان بل لا يزال به الحرص على هذه الحياة اللئيمة يبعث فيه الخوف ويمكن فيه الجبن حتى يسقط به في هاوية الذل ويكتفى من الحياة بمدى وان كانت مكتنفة بالذلة محاطة بالمسكنة مبطنة بالعبودية فاذا وصلت الحال في أمة الى أن تكون آحادها على هذه الصفات تقطعت فيها روابط الالتئام وانعدمت وحدتها الجنسية وفقدت قوتها الحافظة وهوت عروش مجدها وهجرت الوجود كما هجرها

بيان الامم التي خنعت للذل وضرعت للضميم

بعد العزة والشرف بما أفسد فيهم النيشريون (الدهريون)

شعب ﴿ الكريك ﴾ أي اليونانيون كانوا قومًا قليلي العدد وبما اهتموا أو ورثوا من العقائد الثلاث خصوصاً عقيدة أن أمتهم أشرف الامم وبما أودعوا من الصفات الثلاث خصوصاً صفة الانفة والاباء وهي عين الحياء ثبتوا احقاباً في مقاومة الأمة الفارسية وهي تلك الأمة العظيمة التي كانت تمتد من نواحي كشغر الى ضواحي استنبول ذلك فوق ما بالغوه من

الدرجات العالية في العلوم الرفيعة وقد حملهم الخوف من الذل والأنفة من العبودية على الثبات في مواقف الابطال بل رسخ بهم ذلك ولارسوخ الجبال حذراً من الوقوع فيما لا يليق بآرباب الشرف وابناء المجد حتى آل بهم الأمر أن تغلبوا على تلك الدولة العظيمة ﴿ دولة فارس ﴾ وهدموا أركانها ومدوا أيديهم الى الهند . وكانت صفة الأمانة قد بلغت من نفوسهم الى حيث كانوا يرجحون الموت على الخيانة . كما تراه في قصة ﴿ تيمستوكليس ﴾ وهو قائد يوناني نبذه ابنا جلدته وطرده وأرصدوا له القتل فاضطر للفرار من أيديهم والتجأ الى ﴿ ارتكزيكسيس ﴾ ملك فارس فلما كانت حرب بين فارس واليونان أمره ارتكزيكسيس أن يتولى قيادة جيش لحرب اليونان فأبى أن يجارب أمته وان كانت طرده فلما ألح عليه الملك الفارسي ولم يجد محيصا تناول السم ومات أنفة من خيانة بلاده . راجع تاريخ اليونان .

ظهر ابيقور الدهري واتباعه الدهريون في بلاد اليونان متسمين بسما الحكماء وانكروا الالهية ﴿ وانكارها أشد المنكر ومنبع كل وبال وشر كما يأتي بيانه ﴾ ثم قالوا ما بال الانسان معجب بنفسه مغرور بشأنه يظن ان الكون العظيم انما خلق خدمة لوجوده الناقص ويزعم أنه أشرف المخلوقات وانه العلة الغائية لجميع المكونات . ما بال هذا الانسان قاده الحرص بل الجنون والخرق الى اعتقاد ان له عوالم نورانية ومعاهد قدسية وحياة أبدية ينقل اليها بعد الرحلة من هذه الدنيا ويتمتع فيها بسعادة لا يشوبها شقاء ولذة لا يخالطها كدر . ولهذا قيد نفسه بسلاسل كثيرة

من التكاليف مخالفاً نظام الطبيعة العادل . وسد في وجهه رغبته أبواب
الذائد الطبيعية وحرم حسه كثيراً من الحظوظ الفطرية مع أنه لا يمتاز
عن سائر الحيوانات بمزية من المزايا في شأن من الشؤون بل هو أدنى
وأسفل من جميعها في جبلته وأتقص من كلها في فطرته وما يفتخر به من
الصنائع فانما أخذه بالتقليد عن سائر الحيوانات فالنسج مثلاً نقله عن
العنكبوت والبناء استن فيه بسنة النحل ورفع القصور وإنشاء الصوامع أخذ
فيه مأخذ النمل الأبيض وادخار الأوقات هذا فيه حذو جنس النمل
وتعلم الموسيقى من البلبل وعلى ذلك بقية الصنائع . فان كان هذا شأنه من
النقص فليس من اللائق به أن يقذف بنفسه في ورطات المتاعب
والمشاق عبثاً ومن الجهل أن يغتر بهذه الحياة التي لا تمتاز عن حياة سائر
الحيوانات بل ولا جميع النباتات وليس وراءها حياة أخرى في عالم آخر
بل أجدر به أن يلقي ثقل التكاليف عن عاتقه ويقضى حق الطبيعة
البدنية من حظ اللذة ومتى سنع له عارض رغبة حيوانية وجب عليه
تناوله من أي وجوهه وعليه أن لا ينقاد الى ما تخيله له أو هام الحلال
والحرام واللائق وغير اللائق ﴿ لبئس ماسولت لهم أنفسهم فعدوا بالله ﴾
فتلك أمور وضعية ﴿ في زعمهم ﴾ تقيد بها الناس جهلاً فلا ينبغي لابن
الطبيعة أن يجعل لها من نفسه محلاً ولما امتنعت عليهم نفوس أهل الحياء
من الأمة فلم تأخذ منها وساوسهم وجدوا تلك الصفة الكريمة سداً دون
طلبهم فانصبوا عليها يقصدون محوها من الانفس وأعلنوا أن الحياء ضعف
في النفس على ما تقدم وزعموا أن من الواجب على طالب الكمال أن يكسر

مقاطر العادات (جمع مقطرة وهي خشبة فيها خروق بقدر أرجل المحبوسين) ويحمل نفسه على ارتكاب ما يستنكره الناس حتى يعود من السهل عليه أن يأتي كل قبيح بدون انفعال نفسي ولا يجد أدنى خجل في المجاهرة بأية هجينة كانت

ثم تقدم الابيقوريون الى العمل بما يرشدون اليه فتهتكوا احجاب الحياء ووزقوا ستاره وأراقوا ماء الوجه الانساني المكرم فاستحلوا التناول من مال الناس بغير اذن وكانوا متى رأوا مائدة اقتحموا عليها سواء طلبوا اليها أم لم يطلبوا حتى سماهم القوم بالكلاب فاذا رأوهم رموهم بالعظام المعروقة ومع ذلك لم تتنازل هذه الكلاب الانسية عن دعوى الحكمة ولم يردعها رادع الزجر عن شيء من شرورها وكانت تتبجح في الأسواق منادية المال مشاع بين الكل وتهجم على الناس من كل ناحية وهذا سبب شهرتهم بالكليبيين

فلما ضربت أفكار النيشريين ﴿الدهرين﴾ في نفوس اليونان بسعى الابيقوريين ونشبت بعقولهم سقطت مداركهم الى حضيض البلادة وكسد سوق العلم والحكمة وتبدل شرف أنفسهم بالذل واللؤم وتحولت أمانتهم الى الخيانة وانقلب الوقار والحياء قحمة وتسفلا واستحالت شجاعتهم الى الجبن ومحبة جنسهم ووطنهم الى المحبة الشخصية وبالجملة فقد تهدمت عليهم الأركان الستة التي كان يقوم عليها بيت سعادتهم وانتقض أساس انسانيتهم ثم انتهى أمرهم بوقوعهم أسرى في أيدي الرومانيين ﴿جنس

اللاتين ﴿ وكتبوا في قيود العبودية زمنا طويلا بعد ما كانوا يعدون
حكما في الارض بلا معارض

﴿ الأمة الفارسية ﴾ بلغت فيها الاصول الستة أعلى مكانة من الكمال
احقا باطويلة فكانت لها أصول السعادة وموارد النعيم حتى بلغ اعتقاد
الفارسيين من الشرف لأنفسهم الى حد أنهم كانوا يزعمون أن السعداء
من غيرهم انما هم الداخلون في عهدهم المستظلمون بحمايتهم والمجاورون لممالكهم
كان الصدق والامانة أول التعليم الديني عندهم ووصلوا في التحرج
من الكذب الى حيث كانوا اذا بلغت الحاجة مبلغا من أحدهم لا يتقدم
للاقتراض خوف أن يضطره الدين الى الكذب في مواعيد وفائه
فارتفعوا بهذه الخصال الى درجة من العزة وبسطة الملك يلزم لبيانها
كتاب مثل الشاهنامه

قال المؤرخ الفرنسي فرانسيس لونورمان أن مملكة فارس على
عهد دارا الاكبر كانت إحدى وعشرين ايلة ، واحدة منها تحتوى مصر
وسواحل القلزم ﴿ البحر الاحمر ﴾ وبلوجستان والسند ، وكانوا اذا ألم
الضعف بسلطانهم في زمن من الأزمان بعثهم تلك العقائد القويمة والصفات
الكريمة على تلافى أمرهم فخلصوا مما ألم بهم في قليل زمن ورجعوا الى
مكانتهم الأولى ومجدهم الأعلى

ظهر فيهم ﴿ مزدك ﴾ النيشري ﴿ الدهري ﴾ على عهد ﴿ قباد ﴾
وانتحل لنفسه لقب رافع الجور ودافع الظلم وبنزغة من نزغاته قلع أصول
السعادة من أرض الفارسيين ونسفها في الهواء وبددها في الاجواء فانه

بدأ تعليمه بقوله ، جميع القوانين والحدود والآداب التي وضعت بين الناس قاضية بالجور مقررة للظلم وكأها مبنى على الباطل وأن الشريعة النيشرية المقدسة لم تنسخ حتى الآن وقد بقيت مصونة في حرزها عند الحيوانات والبهائم ، أى عقل وأى فهم يصل الى سر ما شرعته النيشر ﴿ الطبيعة ﴾ وأى إدراك يحيط بمثل ما أحاط به وقد جعلت الطبيعة حق المأكل والمشرب والبضائع مشاعا بين الآكلين والشاربين والبضاعين بدون أدنى تخصيص فما الحامل للانسان على حرمان نفسه من بضائع بنته وأمه وأخته ثم تركهن لغيره يتمتع بهن انقياداً لما يخيله له الوهم مما يسميه شريعة وأدبا ، وأى حق يستند اليه من يدعى ملكية خاصة في مال يتصرف فيه دون سواه مع أنه شائع بينه وبين غيره ، وأى وجه لمن يحجر على امرأة دخلت في عقده ويحظر على الناس نيلها وقد خلق الذكر للأنثى والأنثى للذكر وماذا يوجد من العدل في قانون يحكم بأن المال الشائع اذا تناولته يد مغتصب بما يسمونه بيعاً وشراءً أو ارثاً يكون مختصاً بذلك المغتصب ثم يحكم على الفقير المحروم اذا احتال لأخذ شيء من حقه والتمتع به بأنه خائن أو غاصب

فان كان هذا شأن تلك القوانين الجائرة فعلى الانسان أن يفك أغلالها من عنقه وي طرح كل قيد عقده القوانين والشرائع والآداب التي لا وازع لها سوى العقل الانساني الناقص ويرجع الى سنة الطبيعة المقدسة ويقضى حق شهوته من اللذائذ التي أباحها له بأى الوجوه ومن أية الطرق ويأخذ في ذلك مأخذ البهائم وعليه أن يقاوم الغاصبين المتحكمين في الحقوق

قسراً ﴿أى المالكين للأموال والابضاع﴾ فيخرجهم عن سوء فعالهم
من الغصب والجور ﴿أى حق التملك﴾

فلما ذاعت هذه النزغات الخبيثة بين الأمة الفارسية تهتك الحياء وفشا
القدر والخيانة وغلبت الدناءة والتذالة واستولى حكم الصفات البهيمية على
نفوسهم وفسدت أخلاقهم وردت طباعهم

نعم أن أنوشروان قتل مزدك وجماعة من شيعته ولكنه لم يستطع
محو هذه الأوهام الفاسدة بعدما علقت بالعقول والتبست نفايتها بالأفكار
فكان علة في ضعفهم حتى إذا هاجمهم العرب لم تكن الإحالة واحدة
فانهزموا مع أن الروم وهم أقران الفارسيين ثبتوا في مجادلة العرب ومقاتلتهم
أزماناً طويلة

الأمة الإسلامية

جاءتها الشريعة المحمدية والديانة السماوية فأشربت قلوبها تلك العقائد
الجليلة ومكنت في نفوسها تلك الصفات الفاضلة وشمل ذلك آحادهم
ورسخت بينهم تلك الأصول الستة بدرجة يقصر القلم دون التعبير عنها
فكان من شأنهم أن بسطوا سلطانهم على رؤس الأمم من جبال الألب
إلى جدار الصين في قرن واحد وحشوا تراب المذلة على رؤس الأكاسرة
والقيصرة مع أنهم لم يكونوا إلا شردمة قليلة العدد بزررة العدد ولم ينالوا
هذه البسطة في الملك والسطوة في السلطان إلا بما حازوا من العقائد
الصحيحة والصفات الكريمة . هذا إلى ما جذبته مغناطيس فضائلهم من

مائة مليون دخلوا في دينهم في مدة قرن واحد من أمم مختلفة مع أنهم كانوا
يخبرونهم بين الاسلام وشيء زهيد من الجزية لا يثقل على النفوس أداؤه
هكذا كان حال هذه الأمة الشريفة من العزة ومنعة السلطان

فلما كان القرن الرابع بعد الهجرة ظهر النيسريون (الطبيعيون) بمصر
تحت اسم الباطنية وخزنة الاسرار الالهية وانبثت دعائهم في سائر
البلاد الاسلامية خصوصاً بلاد ايران ، علم هؤلاء الدهريون أن نور
الشريعة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة واتم التسليم قد أنار قلوب
المسلمين كافة وأن علماء الدين الحنفي أقاموا على حراسة عقائد المسلمين
وأخلاقهم بكمال علم وسعة فضل ودقة نظر فلماذا ذهب أولئك المفسدون
مذاهب التدليس في نشر آرائهم وبنوا تعليمهم على أمور أولاً إثارة الشك
في القلوب حتى يتفكك عقد الايمان وثانياً الاقبال على الشاك وهو في
حيرته لينوده بالنجاة منها وهدايته الى اليقين الثابت فاذا انقاد لهم أخذوا
منه موافقيتهم ثم أوصلوه الى مرشدكم الكامل وثالثاً أعزوا الى دعائهم
أن يلبسوا الرؤساء الدين الاسلامي لباس الخدعة وجعلوا من شروط الداعي
أن يكون بارعاً في التشكيك ماهراً في التلبيس مقتدر على اشراب القلوب
مطالبه ، فاذا سقط الساقط من المغرورين في حباله مرشدكم الكامل
فأول ما يلقنه المرشد قوله : ان الاعمال الشرعية الظاهرة (كالصلاة والصيام
ونحوهما) انما فرضت على المحجورين دون الوصول الى الحق والحق هو
المرشد الكامل فحيث أنك وصلت الى الحق فاليك أن تلقى عن عاتقك
ثقل الاعمال البدنية فاذا مضى عليه زمن في عهدكم صرحوا له بأن جميع

الاعمال الباطنة والظاهرة وكذلك سائر الحدود والاعتقادات انما ألزمت
فرائضها بالناقصين المصايين بأمراض من ضعف النفوس ونقص العقول
أما وقد صرت كاملاً فلك الاختيار في مجاوزة كل حد مضروب والخروج
من اكتمان التكالييف الى باحات الاباحة الواسعة . ما الحلال وما الحرام .
ما الأمانة وما الخيانة . ما الصدق وما الكذب . ما هي الفضائل وما هي
الردائل . ألفاظ وضعت لمعان مخيلة و ما لها من حقيقة واقعية ﴿ في زعم المرشد ﴾
فاذا قرر المرشد أصول الاباحة في نفوس اتباعه التمس لهم سبيلاً
لإنكار الألوهية وتقرير مذهب النيشرية ﴿ الدهريين ﴾ فأتى اليهم من
باب التنزيه فقال الله منزّه عن مشابهة المخلوقات ولو كان موجوداً لا شبه
الموجودات ولو كان معدوماً لا شبه المعدومات فهو لا موجود ولا معدوم
﴿ يعني انه يقر بالاسم وينكر المسمى ﴾ مع ان شبهته هذه سفسطة
بديهية البطلان فان الله منزّه عن مشاركة الممكنات في خصائص الامكان
أما في مطلق الوجود فلا مانع من أن يتفق اطلاق الوصف عليها وعليه
وان كان وجوده واجباً ووجودها ممكناً

وقد جدت طائفة الباطنية في افساد عقائد المسامين زماناً غير قصير
أخذاً بالحيلّة ونفاذاً بالخدعة حتى انكشف أمرهم لعلماء الدين ورؤساء
المسامين فاتصبوا لدرء مفاسدهم وتحويل الناس عن ضلالاتهم فلما رأوا
كثرة معارضيتهم شجذوا شفار الغيلة ففتكوا بكثير من الصالحين وأراقوا
دماء جم غفير من علماء الأمة الاسلامية وأمرأ الملة الحنيفية
وبعض أولئك المفسدين عند ما أمكنته الفرصة ووجد من نفسه

ريح القوة أظهر مقاصده على منبر ﴿ الموت ﴾ ﴿ قلعة في خراسان ﴾
وجهر بآرائه الخبيثة فقال : اذا قامت القيامة حطت التكاليف عن الاعناق
ورفعت الاحكام الشرعية سواء كانت متعلقة بالاعمال البدنية الظاهرة
أو الملكات النفسية الباطنة والقيامة عبارة عن قيام القائم الحق وأنا القائم
الحق فليعمل عامل ما أراد فلا حرج بعد اليوم إذ رفعت التكاليف وخلصت
منها الذم ﴿ أى أغلقت أبواب الانسانية وفتحت أبواب البهيمية ﴾
وبالجملة فهؤلاء الدهريون من أهل التأويل أى ﴿ الناتور اليسم ﴾
من الاجيال السابقة الاسلامية عملوا على تغيير الاوضاع الالهية بفنون
من الحيل ودعوا كل كمال انساني نقصاً وكل فضيلة رذيلة وخیلوا للناس
صدق ما يزعمون ثم تناولوا على جانب الالهية فخلوا عقود الايمان بها
بالسفسطة التي سموها تنزيها ومحووا هذا الاعتقاد الشريف من لوح القلوب
وفي محوه محو سعادة الانسان في حياته وسقوطه في هاوية اليأس والشقاء
فأفسدوا اخلاق الملة الاسلامية شرقاً وغرباً وزعزعوا أركان
عقائدها وساعدتهم مد الزمان على تلويث النفوس بالاخلاق الرديئة وتجريدها
من السجايا الكاملة التي كان عليها أبناء هذه الملة الشريفة حتى تبدلت
شجاعتهم بالجبن وصلابتهم بالخور وجراتهم بالخوف وصدتهم بالكذب
وأمانتهم بالخيانة ووقع المسخ في همهم فبعد ان كان مرماها مصالح الملة
عامة صارت قاصرة على المنافع الشخصية الخاصة وعادت رغباتهم لا تخرج
عن الشهوات البهيمية . وكان من عاقبة ذلك ان جماعة من قزم الافرنج
صدعوا اطراف البلاد السورية وسفكوا فيها دماء آلاف من أهاليها

الابرياء وخربوا ما أمكنهم أن يخربوا وثبتوا بها نحو مائتي سنة والمسلمون في عجز عن مدافعهم ، مع أن الافرنج كانوا قبل عروض الوهن لعقائد المسلمين وطروء الفساد على أخلاقهم في قلق لا يستقر لهم أمن على حياتهم وهم في بلادهم خوفاً من عادية المسلمين وكذلك قام جماعة من أوباش التتر والمغول مع جنكيز خان واخترقوا بلاد المسلمين وهدموا كثيراً من المدن المحمدية وأهدروا دماء ملايين من الناس ولم تكن للمسلمين قدرة على دفع هذا البلاء عن بلادهم مع أن مجال خيولهم في بدء الاسلام على قلة عددهم كان ينتهي الى أسوار الصين

وما نزل بالمسلمين شيء من هذه المذللات والاهانات ولا رزؤوا بالتخريب في بلادهم والفناء في أرواحهم الا بعد ما كلت بصائرهم ونفدت نياتهم ومازج الدغل قلوبهم وخربت أمانتهم وفشا الغش والادهان بينهم ودار كل منهم حول نفسه لا يعرف أمة ولا ينظر الى ملة فاصبحوا بقناة خوارة بعد أن كانت قناتهم لاتلين لغامز إلا أن بقية من تلك الأخلاق المحمدية كانت لم تزل راسخة في نفوس كثير منهم كامنّة في طي ضمائرهم فهي التي انهضتهم من كبوتهم وحملتهم على الجدل في كشف السطوة الغريبة عن بلادهم فاجلوا الأمم الافرنجية بعدمئين من السنين وخلصوا البلاد السورية من أيديهم وطوقوا الجنكيزيين بطوق الاسلام والبسوهم تيجان شرفهم ولكنهم لم يستطيعوا حسم ذاء الضعف واعادة ما كان لهم من الشوكة الى المقام الأول فان ما كان من شوكة وقوة انما هو أثر العقائد الحقة والصفات الحمودة فلما خالط الفساد هذه وتلك تعسر عود السهم

الى النزعة . ولهذا ذهب المؤرخون الى أن بداية الانحطاط في سلطة
المسلمين كانت من حرب الصليب والاليق أن يقال أن ابتداء ضعف
المسلمين كان من يوم ظهور الآراء الباطلة والعقائد النيشرية ﴿الدهرية﴾
في صورة الدين وسريان هذه السموم القاتلة في نفوس أهل الدين الاسلامي
وليس بخاف أن فئة ظهرت في الأيام الاخيرة ببعض البلاد الشرقية
وأراقت دماء غزيرة وفتكت بأرواح عزيزة تحت اسم لا يبعد عن اسماء
من تقدمها لمثل مشربها وانما التقطت شيئاً من تقايات ماترك دهر يو
الموت وطبيعيو كركوه . وتعليمها نموذج تعليم أولئك الباطنيين فعلينا
أن نتنظر ما يكون من آثار بدعها في الأمة التي ظهرت بها

﴿ الشعب الفرنسي ﴾

شعب كان قد تفرد بين الشعوب الأوروبية باحراز النصيب الاوفر
من الأصول الستة فرفع منار العلم وجبر كسر الصناعة في قطعة أوربا بعد
الرومانيين وصار بذلك مشرقاً للتمدن في سائر الممالك الغربية وبما أحرز
الفرنساويون من تلك الأصول كانت لهم الكلمة النافذة في دول الغرب
الى القرن الثامن عشر من الميلاد المسيحي حتى ظهر فيهم (وولتير) و(روسو)
يزعمان حماية العدل ومغالبة الظلم والقيام بانارة الأفكار وهداية العقول
فنبشوا قبر أبيقور الكلي وأحيوا ما بلى من عظام الناتور اليسم (الدهريين)
ونبذا كل تكليف ديني وغرسا بذور الاباحة والاشتراك وزعما أن الآداب
الالهية جعليات خرافية كما زعما أن الاديان مخترعات أحدثها نقص العقل

الانسانى وجهر كلاهما بأنكار الالهية ورفع كل عقيرته بالتشنيع على الانبياء
﴿ برأهم الله مما قالوا ﴾ وكثيراً ما ألف وولتير من الكتب فى تخطيطه
الانبياء والسخرية بهم والقدح فى أنسابهم وعيب ما جاؤا به فاخذت هذه
الأباطيل من نفوس الفرنساويين ونالت من عقولهم فنبذوا الديانة العيسوية
ونفضوا منها أيديهم وبعد أن أغلقوا أبوابها فتحوا على أنفسهم أبواب
الشريعة المقدسة ﴿ فى زعمهم ﴾ شريعة الطبيعة وزاد بهم الهوس فى بعض
أيامهم حتى حمل لفيفاً من عامتهم أن يتناولوا بنتاً من ذوات الجمال فيهم
ويحملوها إلى محراب الكنيسة ففعلوا ونادى زعيم القوم . أيها الناس
لا يأخذكم الفرع بعد اليوم من هدهدة الرعد ولا التماع البرق ولا تظنوا
شيئاً من ذلك تهديداً لكم من إله السماء يرسله عليكم ليعظكم به ويزعجكم
عن مخالفته كلا فهذه كلها آثار الطبيعة ﴿ الناتور ﴾ ولا مؤثر فى الوجود
سوى ﴿ الناتور ﴾ خلوا عن أعناقكم قيود الأوهام ولا تقيموا لأنفسكم
إلهاً من خواطر ظنونكم فإن كانت العبادة من رغائب شهواتكم فما هى
(مدموازيل) أى العذراء قائمة فى المحراب على مثال الدمية فاسجدوا لها
ان شئتم

والاضاليل التى بثها هذان الدهريان ﴿ وولتير وروسو ﴾ هى التى
أضرمت نار الثورة الفرنساوية المشهورة ثم فرقت بعد ذلك أهواء الامة
وأفسدت أخلاق الكثير من أبنائها فاختلفت فيها المشارب وتباينت
المذاهب وأوغلوا فى سبل الخلاف زمناً يتبعه زمن حتى تباين صدعهم

وذهب كل فريق يطلب غاية لا يرى وراءها غاية وليس بينها وبين غايات سائر الفرق مناسبة وانحصر سعى كل قبيل في التماس ما يوافق لذته ويوافق شهوته وأعرضوا عن منافعهم العامة وأعقب ذلك عروض الخلل لسياستهم الخارجية شرقاً وغرباً

نعم أن نابليون الأول بذل جهده في إعادة الديانة المسيحية الى ذلك الشعب استذكرا كاشأنه لكنه لم يستطع محو آثار تلك الاضاليل فاستمر الاختلاف بالفرنساويين الى الحد الذي هم عليه اليوم . هذا الذي جر فرنساويين للسقوط في عار الهزيمة بين يدي الجرمانيين وجلب اليهم من الخسارة ما تعسر عليهم تعويضه في سنين طويلة . هذه الاباطيل الدهرية قام عليها مذهب الكمون أى الاشتراكيين ونما هذا المذهب بين فرنساويين ولم تكن مضار الآخذين به ومفسدهم في البلاد فرنساوية أقل من مضار الجرمانيين (راجع تاريخ الحرب بين فرنسا والمانيا) ولو لم يتدارك الأمر أرباب العقائد النافعة والسجايا الحسنة لنسف الاشتراكيون كل عمران على أديم فرنسا ومحوا مجد الأمة تنفيذاً لاهوائهم وجلباً لرغائبهم

﴿ الامنة العثمانية ﴾

انما رقت حالتها في الأزمنة المتأخرة بما دب في نفوس بعض عظمائها وامرائها من وساوس الدهريين فان القواد الذين اجترحوا إثم الخيانة في الحرب الأخيرة بينها وبين الروسية كانوا يذهبون مذهب النيشريين

(الدهريين) وبذلك كانوا يعدون أنفسهم من أرباب الافكار الجديدة
(أبناء العصر الجديد)

زعموا بما كسبوا من أوهام الدهريين ان الانسان حيوان كالحيوانات
لا يختلف عنها في أحكامها وهذه الأخلاق والسجايا التي عدوها فضائل
تخالف بجميعها سنن الطبيعة المطلقة (الناتور) وانما وضعها تحكم العقل
وزادها تطرف الفكر ، فعلى من بصر بالحقيقة (على زعم أولئك المارقين)
أن يستنتج كل طريق لتحصيل شهواته واستيفاء لذاته ولا يأخذ نفسه بالحرمان
من ملاذه وقوفاً عند خرافات القيود الواهنة والموضوعات الانسانية
الواهية ، وحيث أن الفناء حتم على الأحياء فما هو الشرف والحياة وما هي
الامانة والصدق وأي شيء هو العفة والاستقامة ، ولهذا خان أولئك الامراء
ملتهم مع ما كان لهم من الرتب الجليلة ورضوا بالدنية واستناموا إلى الخسة
ونسفوا بيت الشرف العثماني في تلك الحرب وجلبوا المذلة على شعوبهم
بعرض من الحطام قليل

السوسياليست (الاجتماعيون) النهيلىست (العدميون)

الكمونيست (الاشتراكيون)

هذه الطوائف الثلاثة تتفق في سلوك هذه الطريقة (الدهرية)
وزينوا ظواهرهم بدعوى أنهم سند الضعفاء والطالبون بحقوق المساكين
والفقراء وكل طائفة منها وان لونت وجه مقصدها بما يؤم مخالفته لمقصد
الآخرى الا ان غاية ما يطلبون انما هو رفع الامتيازات الانسانية كافة

واباحة الكل للكل وإشراك الكل فى الكل . وكم سفكوا من دماء وكم
هدموا من بناء وكم خربوا من عمران وكم أثاروا من فتن وكم أنهبوا من
فساد كل ذلك سعيًا فى الوصول الى هذه المطالب الخبيثة . وجميعهم على
اتفاق فى أن جميع المشتبهات الموجودة على سطح الأرض منحة من
الطبيعة وفيض من فيوضها والاحياء فى التمتع بها سواء واختصاص فرد
من الانسان بشيء منها دون سائر الافراد بدعة فى شرع الطبيعة سيئة
يجب محوها والاراحة منها . ومن مزاعمهم أن الدين والملك عقبتان
عظيمتان وسدان منيعان يعترضان بين أبناء الطبيعة ونشر شرعيتها المقدسة
(الاباحة والاشتراك) وليس من مانع أشد منهما فاذن من الواجب على
طلاب الحق الطبيعى أن ينقضوا هذين الاساسين ويبيدوا الملوك
ورؤساء الاديان

ثم يعمدوا الى الملاك وأهل السعة فى الرزق فان دانوا الشرع
الطبيعة فخرجوا عن الاختصاص فتلك والا أخذ باعناقهم قتلا وبأ كظامهم
خنقا حتى يعتبر بهم من يكون من أمثالهم فلا يلوون رؤوسهم كبرا على
الشريعة المقدسة (شريعة الطبيعة) ولا تزور أعناقهم عصيانًا لاحكامها
نظر أبناء هذه الطوائف الثلاثة فى وجوه الوسائل لبث أفكارهم
والافضاء بما فى أوهامهم الى قلوب العامة فلم يجدوا وسيلة أنجح فى زرع
بزور الفساد فى النفوس من وسيلة التعليم إما بانشاء المدارس تحت ستار
نشر المعارف أو بالدخول فى سلك المعلمين فى مدارس غيرهم ليقرروا
أصولهم فى اذهان الاطفال وهم فى طور السذاجة فتنتقش بها مداركهم

بالتدريج . فمن أولئك الدهريين من هممه بناء المدارس ودعوة الناس اليها
ومنهم متفرقون في بلاد أوربا يطلبون وظائف التعليم وينالون من ذلك
طلبهم وجميعهم يتعاونون على اذاعة خيالاتهم الباطلة وبهذا كثرت
أحزابهم ونمت شيعتهم في أقطار الممالك الأوروبية خصوصاً مملكة الروسية .
لأجرم ان هذه الطوائف اذا استفحل أمرها وقوى ساعدها على المجاهرة
بأعمالها فقد تكون سبباً في انقراض النوع البشرى كما تقدم ذكره أعادنا
الله من شرور أقوالهم وأعمالهم

(مورمون)

هذا النبي الاخير والرسول الممتاز بالبعثة من قبل الناتور (الطبيعة)
نشأ في انكلترا ثم هاجر منها الى أميركا وأعلن ما القى اليه بالهام الطبيعة
من أن النعمة العظمى (يريد الاباحة والاشتراك) انما يؤتاها من كان
مؤمناً بالطبيعة وليس لغيره من الكفرة بها حق التمتع بتلك النعمة
واجتمع اليه عدد من ضعفة العقول فألف منهم جمعيتين احدهما من
المؤمنين والاخرى من المؤمنات وقال لكل مؤمن حق التمتع بكل
مؤمنة حتى كانت اذا سئلت احدى المؤمنات : زوجة من أنت ؟ تجيب
انها زوجة جماعة المؤمنين واذا سئل أحد أبنائهن : ابن من أنت ؟
يجيب انه ابن الجمعية الا انه الى الآن لم يصعد لهيب فسادهم من هوة
الويل (هوة جمعيتهم)

(دهرىو الشرقيين)

أما منكرو الالهية أعنى النيشريين الذين ظهروا فى لباس المهذين
ولونوا ظواهرهم بصبغ المحبة الوطنية وزعموا أنفسهم طلاب خير الامة
فصاروا بذلك شركاء اللص ورفقاء القافلة ثم تجلوا فى أعين الاغبياء حملة
لاعلام العلم والمعرفة وبسطوا للخيانة بساطاً جديداً وتولاهم الغرور بما
حفظوا من كلمات قليلة ناقصة غير تامة الافادة مسروقة من أوهام
المبطلين وقتلوا سبأهم كبرا وعلوأ ولقبوا أنفسهم بالهادين والادلاء وهم
فى اطباق جهل وارتاق غباوة وفى أهب من دنس الرذائل ومسوك من
قذر الذمائم فالولئك قوم قوى فيهم الظن بان العقل وثمرته من المعرفة
ينحصران فى تين وجوه الغدر وتعرف طرق الاختلاس . وانى لنى
خجل من ذكرهم يدافعنى الحياء عن رواية سيرهم وحكاية أعمالهم فان
مقاصدهم من الدناءة بحيث لا تخرج عن جيوبهم . يسعون فى اقتلاع
أساس أمتهم لشهوة بطونهم . يحددون سفارهم لتقطيع روابط الالتئام
بين بنى جنسهم لا يبتغون بذلك عوضاً سوى حشو معدهم وما أضيق
مجال أفكارهم . الى الآن لم يخط أحدهم خطوة خارج كرشه ولم يمد واحد
منهم رجله لأبعد من فرشته وليس فى وسع القلم أن يتحرك فى هذا المجال
الضيق غير انه يمكن أن يقال انهم (يياجوا) لغيرهم من أهل الضلالة
(أى سيئو التقليد لهم) وما بقى من أوصافهم لا يخفى على فهم القارئ

(مضار انكار الالهية)

تبين مما أسلفناه أن طائفة النيشريين (الدهريين) كلما نجمت في أمة أفسدت أخلاقها وأوقعت الخلل في عقولها وتخطفت قلوب آحاديها بأنواع من الحيل والوان من التلبيس حتى تصبح تلك الامة وقد وهى أساسها وتفطر بناؤها واغتالها رذائل الاخلاق من الاثرة وعبادة الشهوات والجرأة على ارتكاب الخيانات ولا يزال الفساد يتغلغل في أحشائها حتى تضحل ويمحى اسمها من صفحة الوجود أو تضرب عليها الذلة ويخذل بناؤها في الفقر والعبودية

الا أن قبيلًا من هذه الطائفة عملوا على اخفاء مقصدهم الاصلى وهو الاباحة والاشتراك واكتفوا في ظاهر الامر بانكار الالهية وجحود يوم الدين يوم العرض والجزاء وقد يظن بعض ضعفة العقول أن في ذلك بسطة الفكر وسعة الحرية لهذا أحببت أن أبين أن هذه النزعة وحدها كافية في افساد الهيئة الاجتماعية وتزعزع أركان المدنية وليس من ضروب الباطل ما هو أشد منها تأثيراً في محو الفضائل واثارة الخبائث والرذائل وليس من الممكن أن يجتمع لشخص واحد وهم الدهرى وفضيلة الامانة والصدق وشرف الهمة وكمال الرجولية

ذلك أن كل فرد من نوع الانسان قد أودع بحسب فطرته وبناء بنيته شهوات تميل به الى مشتهيات فشهواته تدفعه الى تحصيل مشتهياته ولا يستطيع تسكين هواه ولا كسر سورة نفسه الا بنيل ما يمكنه من

تلك المشتهيات كأنه يعالج ألم الطلب بما يصل اليه من المطلوب ولم تجد
الطبيعة طريقاً معينة يسلكها الراغبون للوصول الى رغائبهم فسيل
حق . وسيل باطل . وسيل الفتنة والفساد ، وسيل الهدى والرشاد ،
وسيل سفك الدماء واغتصاب الحقوق ، وسيل الاجمال والتعفف ،
وكلها ميسر للطالب غير ممتنع على السالك

فقصر النفوس على طريقة محدودة وتوقيف هواها عند حدود معينة
ومنعها من تجاوز حد الاعتدال في آثارها وأعمالها وارضاء كل ذى شهوة
بحقه وكفه عن الاعتداء والاجفاف بحقوق غيره هذا كله انما يكون باحد
أمور أربعة

(الأمور التي يمكن بها الزام النفس حدود العدل)

اما أن يحمل كل ذى حق آلة حربه فيخترط سيفه ويعتقل رحمه
ويرفع ترسه ويقوم ليله ونهاره يقدم إحدى رجليه ويؤخر الاخرى دفاعاً
عن حقه . وأما شرف النفس كما يزعمه ارباب الاهواء ، واما الحكومة
واما الاعتقاد بأن لهذا العالم صانعاً قادراً محيط العلم نافذاً للحكم وانه يوفى كل
عامل جزاء عمله من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً
يره ثواباً جزيلاً أو عقاباً ويلا في حياة بعد هذه الحياة

(الأول المدافعة الشخصية)

أما الأول فبراز وضراب ونضال وقتال وجلاد تسيل به الاودية

مهبجاً وتخضل به الربى دماً وتتفانى به النفوس طلباً للحقوق أو دفاعاً عنها وتكون الدائرة للاقوياء على الضعفاء حتى إذا قوى الضعفاء يوماً ما ثاروا على الاقوياء فلا يزال صاحب القوة يطحن الضعيف والاقران يسحق بعضهم بعضاً إلى أن يعم جميعهم الفناء وينقرض النوع الانساني من وجه البسيطة

(الثاني شرف النفس)

أما الثاني فتقدم الكلام فيه ببيان شرف النفس فهي صفة تنكب بصاحبها عن اتيان ما يذم عند قبيلته وغشيان ما يقبح في انظار عشيرته ويقابلها خسة النفس وهي صفة لا يتأثر معها صاحبها من التشنيع ولا تفعل نفسه من التقييح ، فذلك الصفة أعنى شرف النفس ليست لها حقيقة معينة ولا هي في حدود معروفة عند جميع الامم حتى يمكنهم بالمحافظة عليها أن يقفوا بالشهوات عند حد الاعتدال ، ألا ترى أن كثيراً من الأموريين ارتكابه عند بعض الأمم خسة ودناءة وهو بعينه عند بعض آخر شرف ورفعة يستتبع المدح والثناء على أنه في الحقيقة شر الشرور وأعظم الفجور تتبين ذلك من حال سكان البادية وأهل الجبال من القبائل المتبدية ، فانهم يعدون الغارة والفتك بالارواح وانتهاب الاموال واسترقاق الاحرار من فعال المجد وبلوغ الغاية منها بلوغ الى نهاية الشرف وهذه الفعال بعينها يعدوها سكان المدن وأهل الحضارة من لواحق الدناءة وعلام خسة النفس وكذلك الحيلة والمكر يحسبهما قوم خسة وخبثاً ويحسبهما آخرون حكمة وعقلاً

وإذا أمعنت النظر في المسألة وجدت أن لكل كائن في عالم الامكان
علة غائية والعلة الغائية لأعمال الانسان إنما هي نفسه فهو لا يطالب شرف
النفس ولا يسعى للتجمل به الا لطمعه في توفير رزقه وتوسيع سبل معيشته
وخوفه من ضيق مسالك العيش عليه فانه يعلم أن شرف النفس يرد إلى
صاحبه شوارد القلوب ويجعله مكان ثقتها ويظهره في بهاء الصدق والامانة
فيعظم الركون اليه وتكثر أعوانه وفي ذلك توفر أسباب المعيشة واتساع
طرقها بخلاف من تلتاث نفسه بالخسة فذلك مقذوف القلوب منبوذ الطباع
لا ينبسط اليه النظر ولا يحوم عليه الخاطر فهو قليل الاعوان عديم الاخوان
ومن كان هذا حاله سدت عليه أبواب الرزق واكتنفته غائلات الفاقة
فيكون ميل الانسان إلى شرف النفس ودرجته من القوة والضعف
وتمكنه من نفسه وعدم تمكنه ومراتب اثره في كبج الشهوات وردها
عند تخوم العدالة إنما هو على حسب أحوال الطبقات في معاشهم بمعنى
أن كل طبقة من الناس تطلب من تلك الصفة ما ينفعها في معيشتها ويحفظها
من طارقة السوء بل لا ترى كل طبقة أن شيئاً يعد من الشرف إلا تلك
الصفة التي تحفظ بها المنزلة وتصان بها مواد المعيشة ، وما زاد على ذلك فلا
يعد فقدانه نقصاً ولا اخلو عنه انحطاطاً فلا تسعى لاستحصاله وإن عده
قوم آخرون من جوهر الشرف ومن مقومات الكمال وإن لنا عبرة في
أغلب السلاطين والأمراء فانهم مع أخذهم بمذاهب الشرف لا يبالون
بنقض العهد وخفر الذم خصوصاً مع من دونهم في السلطان ومن لا يضارعه
في القوة ولا يأنفون الظلم ولا ينكرون الغدر ولا يتجافون مذمة من

تلك المذام ولا يعدون شيئاً منها خسة ولا يحسبونه من غاشيات الدناءة مع أن واحداً من هذه الفعال لو صدر من آحاد الرعية بعضهم مع بعض لعد من دنيات الفعال ورمى فاعله بخسة النفس وسقوطها عن مراتب الشرف ومن هذا الوجه كان الخلل يعرض لنظام المعيشة حيث أن سائر الطبقات لا ينظرون إلى ما يصدر عن أمرائهم ورؤسائهم نظرهم إلى ما يصدر عن آحادهم فهم يذهبون مذهب التأويل في أعمال الرؤساء والكبراء ، وهكذا حال الطبقات العالية بالنسبة لما دونها طبقة بعد طبقة أى ان كل طبقة عالية تزعم نفسها مصونة من المثالب محفوظة من الشنائع ومنزلتها ممن دونها تحمل الادين على الاقرار لها بما تزعم فلو كان قوام النظام فى العالم الانسانى بشرف النفس لانطلقت ايدى العدوان من الطبقات الرفيعة فيما دونها وتفتحت ابواب الشر والفساد فى وجه هذا النوع الضعيف

هذا كله اذا فرضنا وقوف كل طالب لشرف النفس عند ما يظنه شرفاً لا يخالفه إلى سواء لاخفية ولا جهرة لكن حيث كان الباعث على التجميل بهذا الوصف انما هو الرغبة فى تحسين المعيشة والفرار من مضانكها فقلما يستوى ظاهر الانسان وباطنه فى هذه الصفة فهو فى معلمات أمورره يسلك سبل الشرف لينال حظه من ميل القلوب اليه ثم لا يمتنع ذلك من غشيان الخيانة الخفية وغمس يديه فى قذر العدوان من وراء حجاب التستر وبسط كفه لتناول الرشوة فى زوايا المحاكم لان طالب خفض العيش يعرف أن هذه الخبائث الخفية تصل به إلى مقصده من السعة على أمن من

الاشتهار بصفة الدناءة وذلك معروف من أحوال المذاعين الظاهرين
 في ثياب الشرف والعفة والله أعلم ماذا يسترون تحت ذيولهم وما يضمرون
 دون جيوبهم وما يخزنون من الاموال في زوايا بيوتهم
 فاذن لا يليق بذى عقل أن يجعل شرف النفس ميزاناً للعدل ، ولا
 مكان للظن بأن هذه الصفة تقف بكل عند حده وترضيه بحقه وتكف
 النفوس عند غضب الحقوق وتدفعها عن الجور وتمنعها عن الحيف ما ظهر
 منه وما بطن

فان قال قائل إن حب المحمدة مما أشربته قلوب البشر وهو باعث
 على الاستمساك بشرف النفس لما يستعقبه من حسن الحمد فكل ذى
 فطرة انسانية يسعى لكسب المحمدة لا بد أن يطلب الغاية من خلة
 الشرف النفسى وينزه نفسه عن جميع الرذائل ويرفعها عن معاطاة الدنيا
 والخصائص ويتبعد بها عن مخالج الحيف والعدوان . فنقول فى جوابه أولاً
 إذا تعارض موجب المدح والثناء ومقتضى الشهوات البدنية فقليل
 من الناس من يختار الأول على الثانى والجمهور الاغلب مغلوب للشهوة
 مأسور للمذة والنظر فى طبقات الناس وأحوالهم على اختلافهم يثبت لنا
 ذلك . وثانياً ان صاغة المدائح ونساج المحامد صنف من الناس أشباه انسان
 وأسناخ حيوان . أولئك المعروفون بالمؤرخين والشعراء الكاذبين ولا
 باعث لهؤلاء على نثر المحامد ونظم القصائد الانضارة الثروة فى الممدوحين
 ورونق الجاه والجلالة فى المحمودين من غير نظر إلى مناشئ الجاه ولا موارد
 الثروة فمناط الحمد احدى البسطتين وان حفت بالمظالم وأحيت باللوائيم

ولهذا تنبعث نفوس كثير من الناس للوصول إلى هذه المظاهر فيطلبون الغنى والثروة واجاه والعظمة ولو كان ذلك من وجود الغدر وطرق الحيف والظلم لينالوا بذلك حظهم من اللذائذ البدنية كما يصيبون سهمهم من المدائح على السنة أولئك المدلسين وليس بكثير في الناس طلاب المحمدة الحققة اللاقطون لدرر المدائح من باحات الفضائل وساحات المكارم المرتادون للحمد بين حدود الحق وأولئك الحافظون لشرف النفس وقليل ما هم . فلم تبق ريبة في قصور هذه الخلعة أغنى شرف النفس عن الكفاية في تعديل الأخلاق وتحديد الشهوات وحجب العدوان وحفظ النظام الانساني اللهم الا أن تكون مستندة الى عقيدة في دين وتكون حقيقتها محدودة في ذلك الدين فعند ذلك تكون دعامة لبناء الشركة الانسانية ومعقداً لروابط الالفة وسبباً لانتظام سلسلة المعاملات لاستنادها على الدين لا بنفسها مجردة كما مرت الإشارة اليه في صفة الحياء

﴿ الثالث الحكومة ﴾

وأما الثالث (الحكومة) فليس بخاف أن قوة الحكومة انما تأتي على كف العدوان الظاهر ورفع الظلم البين أما الاختلاس والزور المموه والباطل المزين والفساد الملون بصنع من الصلاح ونحو ذلك مما يرتكبه أرباب الشهوات فمن أين للحكومة أن تستطيع دفعه وأنى يكون لها الاطلاع على خفيات الحيل وكامنات الدسائس ومطويات الخيانة ومستورات الغدر حتى تقوم بدفع ضرره على أن الحاكم وأعوانه قد يكونون بل كثير

ما كانوا ويكونون ممن تملكهم الشهوات فأى وازع يأخذ على أيدى أصحاب السلطة ويمنعهم من مطاوعة شهواتهم المتسلطة على عقولهم وأى غوث ينقذ ضعفاء الرعايا وذوى المكنة منهم من شره أولئك المتسلطين وحرصهم لاجرم قد يكون الحاكم فى خفى أمره رئيس السارقين وفى جلى حاله قائد الناهيين واعوانه آلات يستعملها فى الجور وأدوات يستعين بها على الفساد والشر فيعطلون من حقوق عباد الله ويهتكون من اعراضهم ويغتمون من أموالهم يروون ظمأ شهواتهم بدماء الضعفاء وينتشون قصورهم بمهيج الفقراء وبالجملة يكون مبالغ سعيهم هلاك العباد ودمار البلاد

(الامر الرابع الاعتقاد بالالوهية)

فاذن لم يبق للشهوة قانع ولا للأهواء رادع الا الأمر الرابع أعنى الايمان بان للعالم صانعاً عالماً بمضمرات القلوب ومطويات الانفس سامى القدرة واسع الحول والقوة مع الاعتقاد بانه قد قدر للخير والشر جزاء يوفاه مستحقه فى حياة بعد هذه الحياة . وفى الحق ان هاتين العقيدتين وازعان قويان يكبحان النفس عن الشهوات ويمنعانها عن العدوان ظاهره وخفيه وحاسمان صارمان يمحوان أثر الغدر ويستأصلان مادة التدليس وهما أفضل وسيلة لاحقاق الحق والتوقيف عند الحد وهما مجلبة الا من ومتنسم الراحة وبدون هذين الاعتقادين لا تقرر هيئة للاجتماع الانسانى ولا تلبس المدنية سربال الحياة ولا يستقيم نظام المعاملات ولا تصفوا صلات البشر من شائبات الغل وكدورات الغش

فلو خويت القلوب من هاتين العقيدتين لسكنتها شياطين الرذائل
وسدت عليها طرق الفضائل ومن أين لمذكر الجزاء أن يكف نفسه عن
خيانة أو يترفع بها عن كذب وغدر وتملق ونفاق وقد تقرر أن العلة الغائية
لأعمال الانسان انما هي نفسه كما سبق فان لم يؤمن بثواب وعقاب
وحساب وعتاب في يوم بعد يومه فما الذي يمنعه عن ذمائم الفعال خصوصاً
اذا تمكن من إخفاء عمله وأمن من سوء عاقبته في الدنيا أو رأى منفعته
الحاضرة في ركوب طريق الرذيلة والعدول عن سنن الفضيلة وأى حامل
يحملة على المعاونة والمرادفة والمرحمة والمروءة وعلو الهمة وما يشبه ذلك
من الاخلاق التي لاغنى للهيئة الاجتماعية منها (ولئن وجد في أحد الجاحدين
شيء من مكارم الاخلاق بمقتضى الغريزة لكان عرضة للفساد أو كان ابر
ناقصاً لفقد ما يمدده من سائر صفات الكمال)

وقد تبين أن أول تعاليم النشريين (الدهريين) أبطال هذين
الاعتقادين (الاعتقاد بالله والاعتقاد بالحياة الابدية) وهما أساس كل
دين وآخر تعاليمهم الاباحة والاشتراك ، فهؤلاء القوم هم الساعون في نسف
بناء الانسانية وتزويته في ذبول السافيات يطلبون ضعفة أركان المدنية
وفساد الاخلاق البشرية ويقوضون بذلك ما رفعه العلم وشادته المعرفة
فيها - كون الأمم بأطفاء حرارة الغيرة واتحاد ربح الحمية ، هؤلاء جرائم
اللؤم والخيانة وأرومات الرذالة والدناءة واحلاس الخسة والنذالة وأعلام
الكذب والافتراء ودعاة الحيوانية المعجماء محبتهم كيد وصحبتههم صيد وتوددهم
مكر ومواصلتهم غدر وصداقهم خيانة ودعواهم للانسانية حيلة ودعوتهم

للعلوم شرك ومكيدة ، يخونون الامانة ولا يحفظون السر ويبيعون الصق
الناس بهم بأدنى مشتهياتهم ، عبيد البطون وأسراء الشهوات لا يستنكفون
من الدنية إذا أعقبتها عطية ولا يخجلون من الفضيحة إذا تبعها رضىخة
لا علم عندهم بالوقار ولا احساس لهم بالعار ولم يبلغهم عن شرف النفس
خبر مخبر ولا وصل اليهم عن الهمة عبارة معبر أو تفسير مفسر الابن فيهم
لا يأمن أباه والبنات لا أمان لها من كليهما ، نعم أى حد تقف دونه حركات
طبع الطبيعيين

قد يوجد بين الناس من تغره نعومة لمس هذه الافاعي وتروقه وقطة
جلودها وانتظام الرقش فيها فينخدع لهم بما يلتبس عليه من أمرهم فيصغى
لزعرف قولهم ويظن أن هؤلاء القوم من طلاب التمدن والاعوان على
الاصلاح أو من الراغبين فى بث المعارف أو المنقيين عن الحقائق أو يتخيل
أن منهم من يكون غوثاً عند الضيق أو عوناً فى الشدة أو مخزناً للأسرار
عند الحاجة فذلك المغرور بمظاهر هذه الطائفة لاهماله يبكى عليه ويضحك
منه فالضحك عجباً من غروره والبكاء حزناً على ضلاله

فتبين مما قررناه أن الدين وان انحطت درجته بين الأديان وهى
أساسه فهو أفضل من طريقة الدهريين وأمس بالمدينة ونظام الجمعية
الانسانية وأجمل أثراً فى عقد روابط المعاملات بل فى كل شأن يقيد
المجتمع الانسانى وفى كل ترق بشرى الى أية درجة من درجات السعادة
فى هذه الحياة الأولى

ولما كان نظام الاكوان قد بنى على أساس الحكمة ونظام العالم

الانسانى جزء من النظام الكونى ألهم الله نفوس البشر أن تفرع إلى مقاومة أولئك المفسدين (الدهريين) فى أى زمان ظهوروا ومدافعة مايعرض من شرهم (كما ألهمهم الفرع من الحيوانات المفترسة والنفرة من الأغذية السامة) وأنهمض حفاظ النظام المدنى الحقيقى وهو الدين لبذل الجهد وافرغ الوسع فى محو آثارهم واستئصال مايفرسون فى تعاليمهم لاجرم أن مزاج الانسان الكبير (يعنى عموم النوع) بما أودع الله فيه من الشعور الفطرى وهو أثر الحكمة الالهية العامة يمج هؤلاء الخونة ولا يحتمل وجودهم فى باطنه فيدفعهم كما تدفع الفضلات من المعدة أو الذنابة من المنخر أو النخامة من الصدر لهذا تراهم وان حلوا بعض منازل الأرض من زمان بعيد وأيدم بعض النفوس الخبيثة من ذوى الشوكة لاغراض سافلة الا أنهم لم يثبتوا ولم يتم لهم أمر بل كان عارض السوء منهم كسحاب الصيف كلما ظهر تقشع والنظام الحقيقى لنوع الانسان وهو الدين لم يزل قادراً راسخاً فى جميع الأجيال وعلى أى الاحوال

فلم تبق ريبة أن الدين هو السبب الفرد لسعادة الانسان فلو قام الدين على قواعد الأمر الالهى الحق ولم يخالطه شئ من أباطيل من يزعمونه ولا يعرفونه فلا ريب أنه يكون سبباً فى السعادة التامة والنعيم الكامل ويذهب بمعتقديه فى جواد الكمال الصورى والمعنوى ويصعد بهم إلى ذروة الفضل الظاهرى والباطنى ويرفع أعلام المدنية لطلابها بل يفيض على المتمدنين من ديم الكمال العقلى والنفسى مايفقرهم بسعادة

الدارين والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . وهذا آخر مادعت اليه
الحاجة من المقابلة بين مذهب الدهريين وبين الدين على وجه عام وأثر
كل من الامرين في بنية الاجتماع الانساني والله أعلم

﴿ دين الاسلام ﴾

اذا نظرنا فيما بين أيدينا من الأديان وجدنا دين الاسلام قد أقيم
على أساس من الحكمة متين ورفع بناؤه على ركن لسعادة البشر ركين .
ذلك أن عروج الأمم على معارج الحق الأعلى وتدرج الشعوب في مدارج
العلم الاجلي وصعود الأجيال على مراقى الفضائل وأشرف طوائف
الانسان على دقائق الحقائق ونيلهم للسعادة الحقيقية في الدارين كل ذلك
مشروط بأمور لا يتم الا بها

(الأمور التي تتم بها سعادة الأمم)

الأول صفاء العقول من كدر الخرافات وصدأ الأوهام فان عقيدة
وهمية لو تهندس بها العقل لقامت حجاباً كثيفاً يحول بينه وبين حقيقة
الواقع ويمنعه من كشف نفس الأمر بل ان خرافة قد تقف بالعقل عن
الحركة الفكرية وتدعوه بعد ذلك أن يحمل المثل على مثله فيسهل عليه
قبول كل وهم وتصديق كل ظن وهذا مما يوجب بعده عن السكال
ويضرب له دون الحقائق ستاراً لا يخرق وفوق ذلك ما تجلبه الاوهام على
النفوس من الوحشة وقرب الدهشة والخوف مما لا يخيف والفرع
مما لا يفرع . ترى الواهم المسكين يقضى حياته بين رجفة واضطراب

يتطير من طيران الطيور وحركات البهائم ويضطرب من هبوب الرياح
وينزعج لقصف الرعد والتماع عليه البرق ويسلك به الوهم طرق الخيفة
مما لا أثر له في الاخافة وبهذا يسجل عليه الحرمان من أغاب أسباب السعادة
ثم يكون العوبة في أيدي المحتالين وصيداً في حبال الماكرين والدجالين
وأول ركن بني عليه الدين الاسلامي صقل العقول بصقال التوحيد
وتطهيرها من لوث الأوهام فمن أهم أصوله الاعتقاد بأن الله متفرد
بتصريف الأكوان متوحد في خلق الفواعل والافعال وان من الواجب
طرح كل ظن في انسان أو جماد علوياً كان أو سفلياً بأن له في الكون
أثراً بنفع أو ضرراً أو اعطاء أو منع أو إعزاز أو اذلال ومن المفروض خلع
كل عقيدة بأن الله جل شأنه ظهر أو يظهر بلباس البشر أو حيوان آخر
لصلاح أو فساد أو أن تلك الذات المقدسة نالت في بعض أطوارها شديد
الآلام وأليم الأسقام لمصلحة أحد من الخلق فضلاً عما يحف بذلك من
خرافات كل واحدة منها كافية في اعماء العقول وطمس نورها
وأغلب الأديان الموجودة لا يخلو من هذه الاوهام ان شئت
فاضرب بنظرك إلى ديانة برهما (في الهند) ودين بوذه (في الصين)
ودين زرادشت (في بقايا الفارسيين) وكثير من أديان آخر .

﴿ الثاني ﴾

الأمر الثاني أن تكون نفوس الامم مستقبلة وجهة الشرف طامحة
الى بلوغ الغاية منه بان يجد كل واحد من نفسه أنه لائق بأية مرتبة من
مراتب الكمال الانساني ما عدا رتبة النبوة فانها بمعزل عن المطمع وانما

يختص الله بها من شاء من عباده ولا يذهب وهم أحد من الأمة الى أنه ناقص الفطرة منحنط المنزلة فاقد الاستعداد لشيء من الكمالات فاذا أخذت نفوس الناس حظها من هذه الصفة أعنى الاقبال على وجوه الشرف تسابق كل مع الآخر في مجالات الفضائل وتمادت بهم المجاراة إلى محاسن الاعمال فبلغ كل واحد ما أتى عليه سعيه من عاليات الامور وشرائط المراتب ولو أن قوماً أساءوا الظن بأنفسهم واعتقدوا أن نصيبهم من الفطرة نقص الاستعداد وخسة المنزلة وأن لا سبيل لهم إلى الوقوف في مصاف غيرهم من طبقات الناس فلا ريب يسقط من همهم على مقدار ما ظنوا في أنفسهم وبذلك يتولى النقص أعمالهم ويملك الخلود عقولهم فيجرمون معظم الكمالات البشرية وينقطعون دون كثير من مقامات الشرف الدنيوية وتكون جوتهم في دائرة ضنكة محيطها دون ما ظنوا بأنفسهم

ان دين الاسلام فتح أبواب الشرف في وجوه الانفس وكشف لها عن غايته وأثبت لكل نفس صريح الحق في أى فضيلة وانبا كل ذى نطق بوفرة استعداده لأى منزل من منازل الكرامة ومحق امتياز الاجناس وتفاضل الاصناف وقرر المزايا البشرية على قاعدة الكمال العقلى والنفسى لا غير فالناس انما يتفاضلون بالعقل والفضيلة . وقد لا نجد من الاديان ما يجمع أطراف هذه القاعدة . فلديك دين (برهما) قسم الناس الى أربعة أقسام أحدها (برهمن) وثانيها (جهترى) وثالثها (ویش) ورابعها (شودر) وقرر لكل منزلة من كمال الفطرة لا يجاوزها فأعلى منازل الكمال لبرهمن ويأبها منزلة الجهترى والصنف الرابع أخسها وأدناها في جميع المزايا الانسانية

وكان هذا التقسيم سبباً في انحطاط المتدينين بهذا الدين وقصور خطاهم عن الرقي في مدارج المدنية وانحسار أفكارهم دون الوصول إلى ما يطلبه استعدادهم من المعارف الصحيحة والعلوم الحقة مع أنهم أقدم الأمم وأسبقها نظراً في السكون وشؤونه . ومن الأديان ما يغلب اليوم على أمم من البشر وفي أصوله تفضيل شعب خاص على بقية الشعوب كشعب إسرائيل مثلاً وكتابه المعروف يخاطب أبناء ذلك الشعب بالكرامة والاحلال ويذكر غيرهم بالتحقير والاهانة . نعم جاء رؤساء ذلك الدين وانسلوا من هذا الحكم وأغفل فيما بينهم حتى كأنه لم يكن من دينهم إلا ما سلبوه من الكرامة عن غيرهم انتحلوه لأنفسهم فارتفع امتياز الجنسية من بين أهل الدين وخلفه امتياز الصنفية فسمت منزلة الرؤساء الروحانيين في قلوب الآخذين بدينهم حتى صار من عقائدهم أن صنفاً من الناس على منزلة القرب إلى الله بحيث لا يرد الله له طلبه ثم هو الحجاب بين الله وبين سائر الاصناف لا يقبل الله من أحد صرفاً ولا عدلاً ولا يعتدله بإيمان ولا يغفر له ذنباً بتوبة حتى يتوسط له أهل طبقة الرئاسة فعندهم أن كل نفس وإن بلغت من الكمال ما بلغت ليس فيها ما يؤهلها لعرض ذنوبها على أبواب العفو الآلهي ولا أن ترفع إليه طلب المغفرة لخطيئاتها بل لا بد في قبول ذلك منها أن يكون بواسطة الرئيس الديني ومن آمن بالله وصدق به وأخذ بأحكامه لا ينظر الله لإيمانه حتى ينظر إليه الرئيس الديني ويعتده إيماناً واستندوا في هذه العقائد على نصوص من كتابهم تفيد أن ما يحلون في الأرض يكون محلولاً في السماء وما يعقدونه في الأرض يعقد في السماء

وقد جلبت هذه العقيدة على أهل هذا الدين شقاء طويلاً والقت بهم في
جهالة عمياء وذلة خرساء زمناً مديداً حتى ظهر فيهم مجددون نقضوا ذلك
العقد وخالفوا فيه ما اشتهر من نصوص الكتاب وقلدوا في ذلك الدين
الاسلامي وسموا مذهبهم مذهب الاصلاح ونشروه في ممالك متعددة
فلم يلبث قومهم بعد ذلك أن تكشفت عنهم جهالات وحلت من أعناقهم
ربق ونهضوا من حضيض ذلة الى ذروة رفعة فنطقوا بعد ما صمتوا
وعلموا بعد ما جهلوا وحكموا بعد ما حكموا وسادوا بعد ما سيدوا

﴿ الثالث ﴾

الامر الثالث أن تكون عقائد الامة وهي أول رقم ينقش في ألواح
نفوسها مبنية على البراهين القويمة والادلة الصحيحة وأن تتحامي عقولهم
مطالعة الظنون في عقائدها وترفع عن الاكتفاء بتقليد الآباء فيها فان
معتقداً لاحت العقيدة في مخيلته بلا دليل ولا حجة قد لا يكون موقفاً
فلا يكون مؤمناً هذا والآخذ في عقائده بالظن ينصب عقله على متابعة
الظنون والقانع بان آباءه كانوا على مثل عقيدته فاولى به أن يكون عليها
يلتقى مع سابقه في مضارب الوهم وفجاج الظن وأولئك المتبعون للظن
القانعون بالتقليد تقف بهم عقولهم عند ما تعودت ادراكه فلا يذهبون
مذاهب الفكر ولا يسلكون طرائق النظر واذا استمر بهم ذلك تعشتمهم
الغباوة بالتدريج ثم تكاثفت عليهم البلادة حتى تعطل عقولهم عن أداء
وظائفها العقلية بالمرّة فيدركها العجز عن تمييز الخير من الشر فيحيط بهم
الشقاء ويتعثر بهم البخت وبئس المآل ما لهم

فان كان لابد من الاستئناس لما نقول بقول أوربي فهذا (كيزو)
الفرنساوى صاحب تاريخ (سيفليزاسيون) أى التمدن الاوربي قال ان
من أشد الأسباب أثراً فى سوق أوربا إلى تمدنها ظهور طائفة فى تلك
البلاد قالت ان لنا حقاً فى البحث عن أصول عقائدنا وطلب البرهان عليها
ولو كان ديننا هو الدين المسيحى وعارضها كثير من رؤساء الدين ومنعوها
ما ادعت من الحق محتجين عليها بأن بناء الدين على التقايد فلما أخذت تلك
الطائفة قوتها وانتشرت أفكارها فصلت عقول الاوربيين من علة الغباوة
والبلاذة ثم تحركت فى مداراتها الفكرية وترددت فى المجالات العلمية
وكدحت لاستحصال أسباب المدنية

ان الدين الاسلامى يكاد يكون متفرداً من بين الأديان بتقرير
المعتقدين بلا دليل وتوبيخ المتبعين للظنون وتبكيته الخاطيئين فى عشواء
العماية والقدح فى سيرتهم . هذا الدين يطالب المتدينين أن يأخذوا بالبرهان
فى أصول دينهم وكلما خاطب العقل وكلما حاكم حاكم إلى العقل تنطق
نصوصه بأن السعادة من نتائج العقل والبصيرة وأن الشقاء والضلالة من
لواحق الغفلة واهمال العقل وانطفاء نور البصيرة ويرفع أركان الحجة لأصول
من العقائد كل منها ينفع العامة ويفيد الخاصة وكلما جاء بحكم شرعى اتبعه
ببيان الغاية منه فى الأغلب (راجع القرآن الشريف)

وقلما يوجد من الأديان ما يساويه أو يقاربه فى هذه المزية وأظن
غير المساميين يعترفون لهذا الدين بهذه الخاصة الجليلة . ومن الأديان
الظاهرة ما بنى أعظم أركانه على أصل الكثرة فى الواحد أو الوحدة

في الكثير وأن الواحد يكون أكثر والكثير يكون واحداً مما تنبذه
بدهاة العقل فلما أنكر العقل أصل هذا أجمع أهل الدين على أنه فوق
نظر العقل فلا ينال الفكر دركه لا بالكنه ولا بالوجه ولا يهتدى لدليل عليه
ولا مرشد اليهم يريدون أنه لا بد من تنكب طريق العقل ونبذ أحكامه
حتى لا يمكن الايمان بهذا الاصل مع أن العقل مشرق الايمان فمن تحول
عنه فقد دابر الايمان وان فرقاً بين مالا يصل العقل إلى كنهه لكنه يعرفه
بأثره وبين ما يحكم العقل باستحالته فالاول معروف عند العقل يقر بوجوده
ويقف دون سرادقات عزته أما الثاني فمطروح من نظره ساقط من اعتباره
لا يتعلق به عقد من عقود فكيف يصدق به وهو قاطع بعدمه أما
أصول دين برهما فمن البين لكل ناظر فيها أن أغلبها مخالف لصريح العقل
وذلك من جليات المسائل سواء اعترف أهل هذا الدين بثبوته أو
كأبروا بانكاره

﴿ الأمر الرابع ﴾

الرابع أن يكون في كل أمة طائفة يختص عملها بتعليم سائر الأمة
لا ينون في تنوير عقولهم بالمعارف الحققة وتحليلها بالعلوم الضافية ولا
يألون جهداً في تبين طرق السعادة لهم والسلوك بهم في جوادها ثم طائفة
أخرى تقوم على النفوس تتولى تهذيبها وتثقيف أودها وتكشف عن
الأوصاف الفاضلة وحدودها وتمثل للمدارك فوائدها ومحاسن غاياتها
وتفضح مستور الرذائل وتشق الحجاب عن مضارها وسوء منقلب

المتدسسين بها وتشتد في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لاتباعها عنها
غفلة ولا تردها عنها صعوبة

وذلك أن بداهة العقل حكمة بأن جل المعارف البشرية والعقائد
الدينية مكتسبة فإن لم يكن في الناس معلم قصرت العقول عن درك
ما ينبغي لها دركه وانقطعت دون الكفاية مما يلزم لسد ضرورات الحياة
الأولى والاستعداد لما يكون في الأخرى وساوى الانسان في معيشتة
سائر الحيوانات وحرمة سعادة الدارين وفارق هذه الدنيا على أتمس
الاحوال فاذا من الواجب الدينى إقامة معلم . والشهوات النفسية ليس لها
من ذاتها حد تقف عنده ولا لرغائب النفس غاية تنقطع عندها فان فقد
من بين الناس مقوم النفوس ومعدل الاخلاق طغى سلطان الشهوة
واندفع إلى الحيف والاجفاف ومن طغت بهم شهوتهم سلبوا راحة غيرهم
وهتكوا ستر أمتهم ثم هم لا ينفلتون من غائلة أعمالهم بل يحترقون بنيران
شهواتهم فيرافقون الدنيا على عناء ويفارقونها إلى شقاء فاذا لا بد من
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر القائم بتقويم الاخلاق وان من أهم
الاركان الدينية في الديانة الاسلامية هاتين الفريضتين (نصب المعلم
ليؤدى عمل التعليم وإقامة المؤدب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر)
راجع القرآن الشريف (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر) وغير هذه الآية آيات كثيرة (فلولوا نفر
من كل فرقة منكم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا
إليهم لعلهم يحذرون) وسواها آيات وقد برز دين الإسلام على غالب
الاديان في العناية بهذين الامرين

وحيث كانت أركان الدين الاسلامي بالغة حد السكثرة فلو أخذت
في بيان ما يفيد كل ركن منها في تقويم المدنية وتسييد بناء النظام الانساني
وإقامة الدليل على أن كل أصل من أصول هذا الدين عنصر لحياة السعادة
الانسانية خرجت عن القصد من هذه الرسالة

ولهذا أخذت على نفسي أن أضع رسالة تختص بذلك الغرض أي
فيها أن المدنية الفاضلة التي مات الحكماء على حسرة من فقدوها لا تختط في
العالم الانساني إلا بالدين الاسلامي

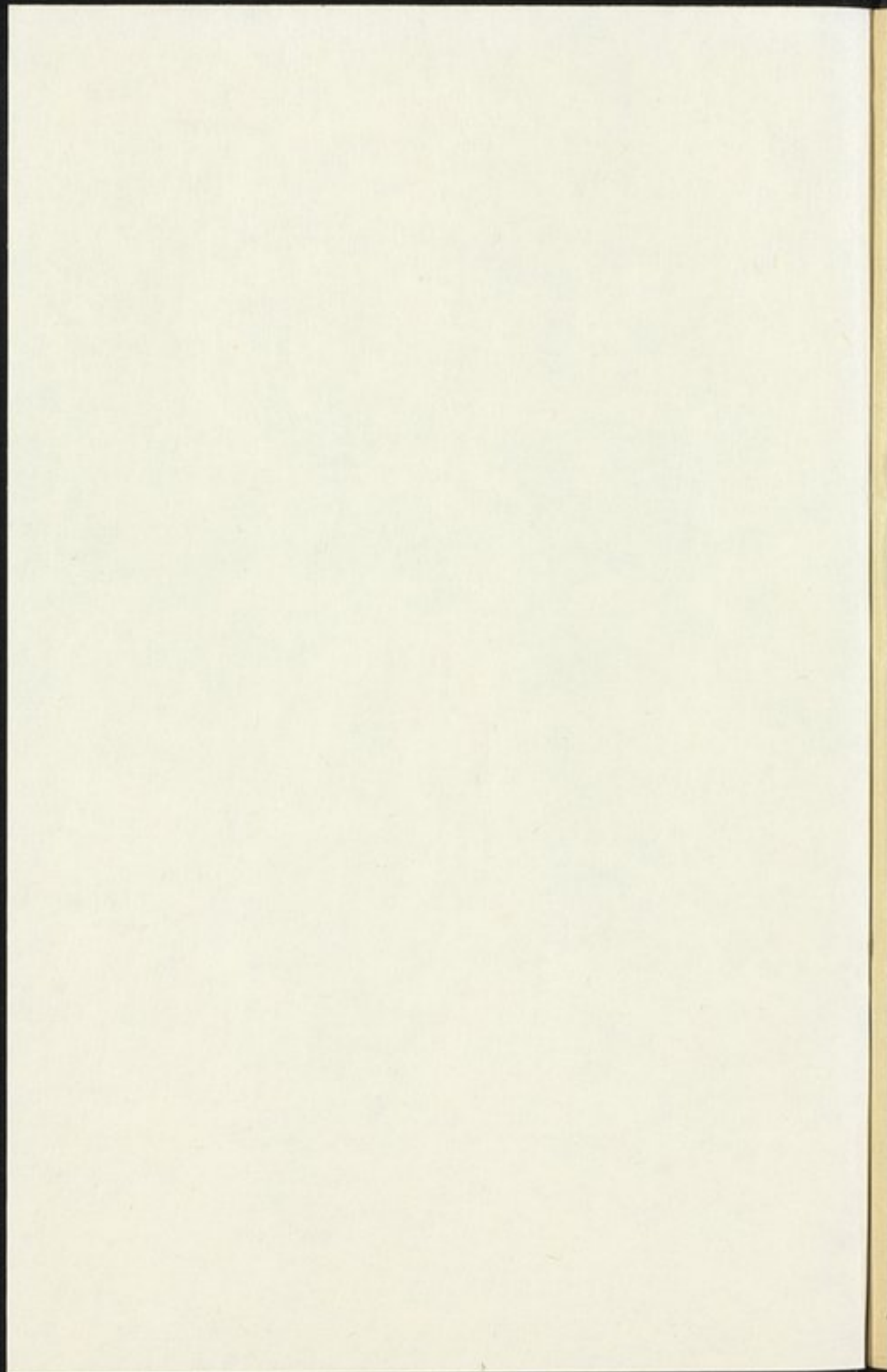
فان قال قائل إن كانت الديانة الاسلامية على ما بينت فما بال المسلمين
على ما نرى من الحال السيئة والشأن المحزن فجوابه أن المسلمين كانوا كما
كانوا وبلغوا بدينهم ما بلغوا والعالم يشهد بفضلهم واكتفى الآن من القول
بهذا النص الشريف (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)
وهذا آخر ما أردت بيانه في هذه الرسالة ينتهي به ما أجملته في كشف
سوءات النيشريين (الدهرين) ومضار طريقتهم في المدنية والهيئة
الاجتماعية الانسانية وتوضيح الادلة على منفعة الاديان وبيان لقيام النظام
البشرى خصوصاً دين الاسلام وإلى الله المنتهى ورضاه المبتغى والصلاة
والسلام على خاتم رسله وآله وصحبه وسلم

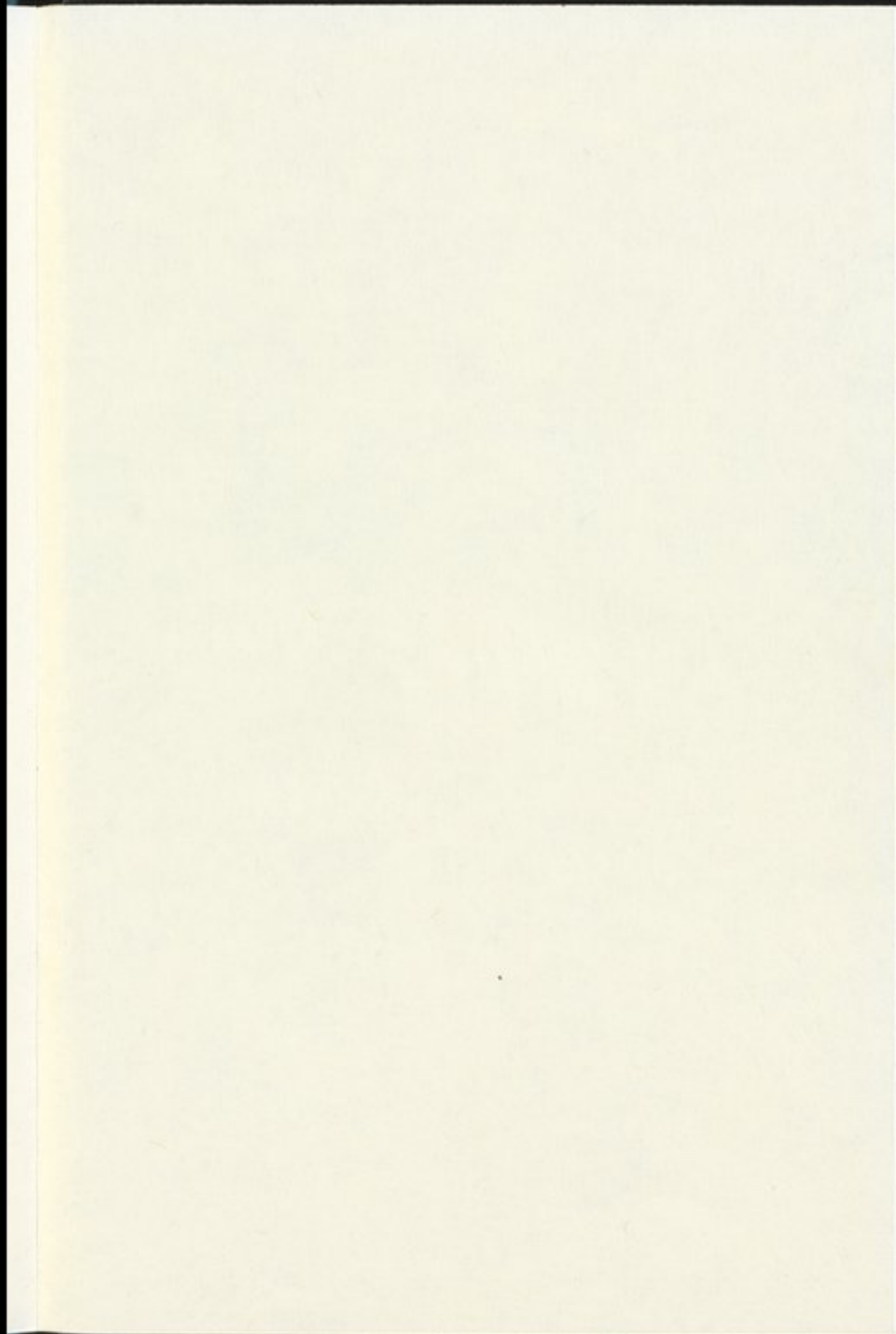
0031

﴿ انتهى ﴾



مستور
مستور
١٢٨٨ / ١ / ٢٨
١٢٨٨







(NEC)
B825
.A344124
1925